رحلة

اوّل شرقيّ الى امركة

وهي سياحة الخوري الياس ابن القسيس حنا الموصلي

من عيلة بيت عمون الكلداني

١٦٦٨ الى ١٦٨٣

نقلًا عن النسخة المحفوظة في الدار المطرنية السريانية بحلب

نشرها بالطبع لاوّل مرَّة وعلق حواشيها

الاب انطون ربَّاط اليسوعي

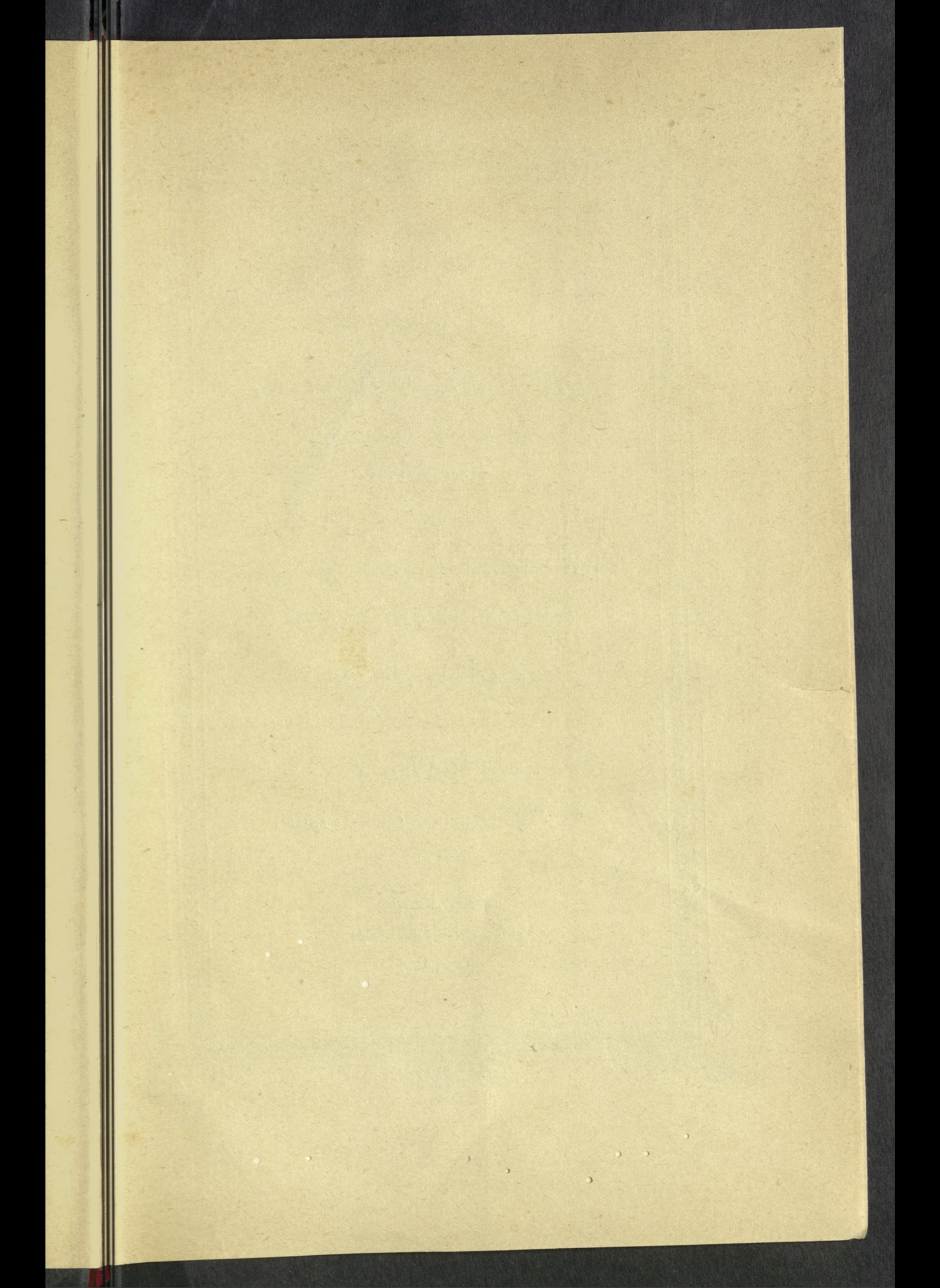
ظهرت اولًا في مجلة المشرق

وأُضيف اليها ستة فهارس بالعربية والافرنسية

طُبعت في بيروت

في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٠٦



المقدمة

الشرقيُّون مغرمون بالاسفار . امر يشهد بهِ التاريخ القديم والحديث وتثبتهُ الرحلات العديدة التي الَّفوها واصفين بلاداً تكاد ان تكون مجهولة حتَّى في ايَّامنا . لكننا لم نكن نعرف ان احداً منهم ساح منذ قرنين ونيف في اكثر البلاد الامركيَّة وزار مدنها وولاتها وشعبها وتفقَّد احوالها ولم نعثر قطّ في المكاتب على ما يُستشفّ منهُ ذكر سياحة كهذه

ففي اواسط ايَّار من سنة ١٩٠٥ بينما كنَّا نطالع المخطوطات المحفوظة في مطرانية السريان بحلب استلفت نظرنا كتاب عربي عنوانهُ « سياحة الخوري الياس الموصلي » فاختلسنا اويقات الفراغ لقراءتهِ واخذنا العجب لمَّا رأينا كاهناً شرقياً قد زار اكثر الانحاء الامركيَّة في القسم الثاني من القرن السابع عشر ووصفها وصفاً لا يخلو من اللذَّة فعوَّلنا على تعريف الكتاب ونشر اهمّ فصولهِ . ولمَّا عرضنا فكرنا على سيادة الحبر الجليل العلَّامة ديونيسيوس افرام نقاشه مطران السريان الكاثوليك في الشهباء اذن لنا باستنساخهِ ونشرهِ وكان قبولهُ لطلبنا شاهداً لنا جديداً على ما ازدان بهِ من لطف الشمائل وكرم الطباع الذكيَّة . واثنى على همتنا كما اعتاد الثناء على كل عمل يؤول الى تعريف الشرق المسيحي ونشر تاريخهِ . فليتنازل سيادتهُ ويتقبَّل خالص شكرنا

(تعريف السائح) هو الخوري الياس ابن القسيس حنَّا الموصلي الكلداني من عائلة بيت عمون . ولقد نظرنا في الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بين ايدينا فلم نصل حتَّى الان الى زيادة تعريف . وليس في رحلتهِ ما ينبئنا بشيءٍ عنهُ خلا انهُ ذكر ابن اخ لهُ اسمهُ يونان انجز في سنة ١٦٧٠ دروسهُ في عاصمة الكثلكة ومنها رجع الى حلب

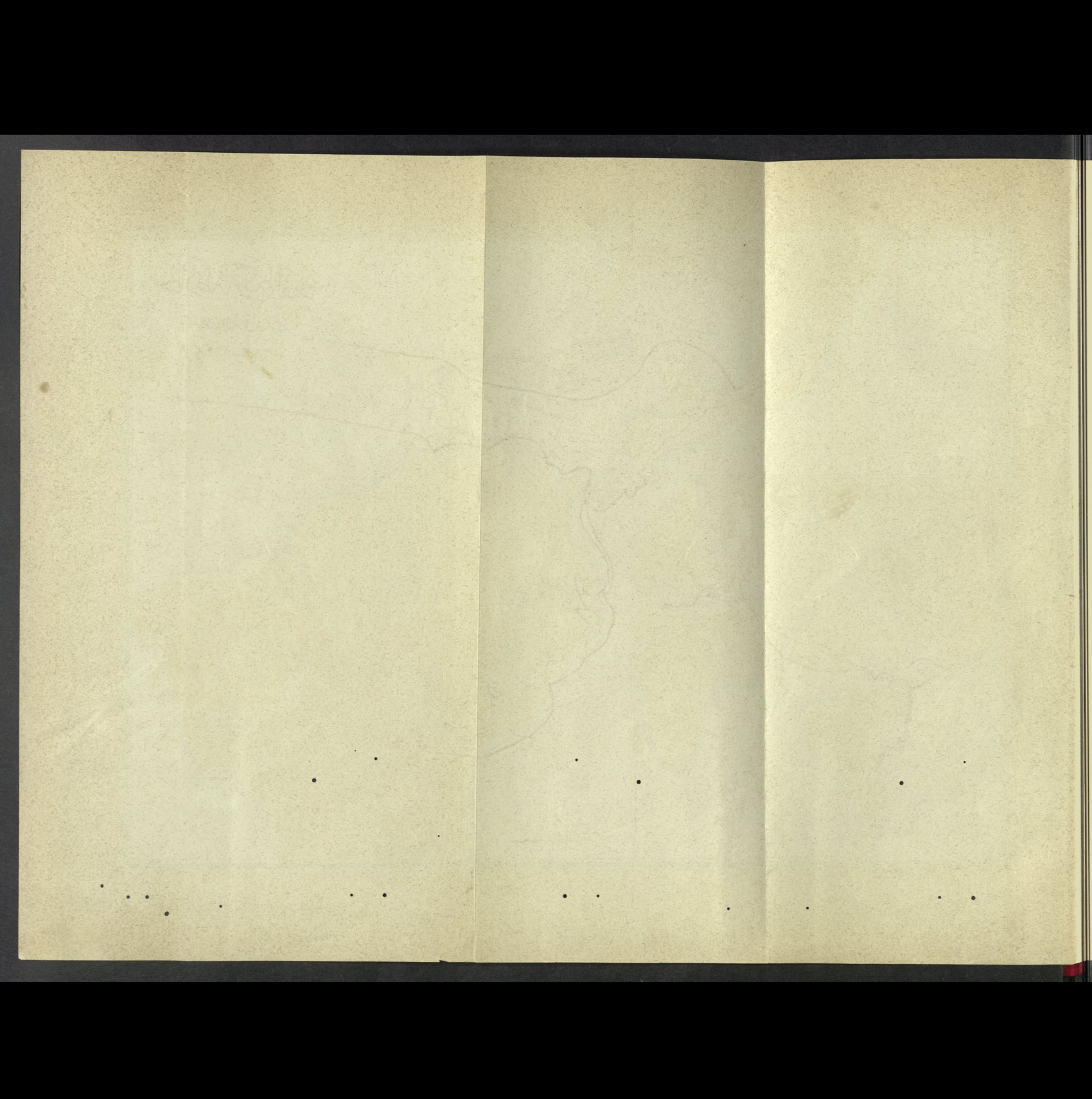
(الرحلة) في سنة ١٦٦٨ سافر الخوري الياس الموصلي من بغداد لزيارة القدس الشريف وبعد ان قضى مدَّة في حلب ابحر من اسكندرونة الى البندقيَّة وايطاليـة وفرنسة واسبانيـة والبرتغال وجزيرة صقليَّة ثم عاد الى اسبانية وركب البحر من قادس الى امركة فمرَّ على جزائر كناري ووصل الى قرطجنة في امركة الجنوبيَّة ثم ساح في جهات باناما ومنها تتبَّع المدن والقرى والمناجم غربي امركة الجنوبيَّة فزار البلاد التي تدعى الان كولوميبيـة وخط الاستواء والپيرو وبوليفية الى اعالي بلاد الحكومة الفضيَّة وشيلي . ومن هذه البلاد عاد على الاعقاب الى ليما من اعمال الپيرو سنة ١٦٨٠ وهناك كتب القسم الاوَّل من رحلتهِ . وما لبث ان سار الى البلاد التي يسميها ينكي دنيا اي المكسيك وامركة المتوسطة وبعد مدَّة قضاها في مكسيكو قفل راجعاً فركب البحر وعاد الى اسبانية فرومية وتشرَّف بمقابلة الحبر الاعظم . قال في ختام رحلتهِ : « فانعم عليَّ الپاپا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن اهلًا لها . والحمد لله الى الابد امين » . ولم يذكر سبب رحلتهِ جليًّا لكنهُ يستشفّ من غضون كلامهِ انهُ ذهب ليجمع حسنات المسيحيين لفائدة اهل جلدتهِ . والله اعلم

(صفات السائح) هو كاهن كلداني كاثوليكي ذو ايمان بسيط وتقوى صادقة قليل الالمام بالانشاء والكتابة لكنهُ يكتب ما يراهُ ببساطة ودقّة وصدق. وقد تتبَّعنا سفرتهُ على خارطة كبيرة فرأيناهُ لم يغفل بلدة ولم تخنهُ ذاكرتهُ الَّا نادرًا، لكن انشاءهُ ركيك ووصفهُ خالٍ من التفنن خلا بعض فصول وشذرات. ومع ذلك فقد قرأناهُ بلذَّةٍ لما يذكر من الامور الغريبة والتنقلات من مكان الى مكان ومن حال الى حال. وفي كتابهِ اغلاط نحويَّة كثيرة اصلحنا اهمَّها تاركين لهُ سذاجة تراكيبهِ. ولا تخلو مطالعتهُ من فائدة يلتذّ بها السوريون المقيمون في البلاد التي زارها اعني وصف ما كانت عليهِ تلك البلاد ومقابلتها بما صارت اليهِ الان بفضل التمدُّن والدين. وكل يعلم ان الشعوب التي كانت في ادنى درجات الهمجيَّة اصبحت بفضل المرسلين في اعالي سلّم الحضارة. وهناك فائدة اخرى للامركيين انفسهم فانَّ الرحلات وان لم تندر لكنها مع ذلك لا تشفي الغليل وقد قابلنا بين رحلتهِ ورحل بعض معاصريهِ فوجدنا رحلتهُ اهلًا لان تنتظم في مصافّها

(وصف الكتاب) هو كتاب مخطوط مجلد تجليدًا قديمًا طول الوجه ٢١ سنتيمترًا في ١٥ س عرضًا وفي كل وجه ٢١ سطرًا. وهو مكتوب بخط جلي غير متقن يحتوي ٢٦٩ صفحة فمن ١ الى ١٠٠ رحلة المؤلف يليها الى صفحة ٢١٤ سبعة عشر فصلًا نقل فيها الرحَّالة تاريخ افتتاح امركة واخبار ولاتها وشعوبها وليس في هذا القسم الثاني كبير فائدة وسنكتفي بنشر الرحلة ونقل بعض شذرات من هذا القسم الثاني. ومن صفحة ٢١٤ الى الاخير رحلة سعيد باشا سفير الدولة العليَّة الى فرنسة في سنة ١١٣٢ هجريَّة وهي رحلة معروفة باللغة التركية والافرنسيَّة لم نجد ترجمتها العربية في غير هذا الكتاب كما انَّنا لا نعرف للكتاب نسخة أُخرى في مكاتب اوربَّة

وليس الكتاب من خط المؤلف وهو خلو من تاريخ ينبئ بزمن نقلهِ امَّا عنوان الكتاب فهو: «صياحت (كذا) خوري الياس الموصلي وهو كتاب – وهنا محي الاسم وحكّ لكنَّا قرأنا «حنَّا بن دياب الماروني في حلب» ويليهِ: «جبرائيل بن يوسف قرمز في ٥ كانون الثاني سنة ١٨١٧»







خارطة امركة القديمة
لرحلة اول شرقي الى امركة
١٦٦٨-١٦٨٣
خليج المكسيك
المكسيك
بحر الانتيل
الانتيل الصغرى
كولومبية
غوايان
نهر امازون
البرازيل
توكومان
باراغواي
امركة الشمالية
امركة الجنوبية
افريقية
الاوقيانوس الاتلنتيكي
الاوقيانوس الباسيفيكي
حدود البلاد الحديثة
طريق صاحب الرحلة

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ . واخترع الموجودات بامرهِ وكلمتهِ . وصوَّر الانسان على شبههِ ومثالهِ . وسلَّطهُ على سائر المخلوقات بفضلهِ وانعامهِ . ونهاهُ عن ثمرٍ لا يأكلهُ لئلَّا يموت موتًا . فهذا المخلوق الضعيف لمَّا خالف امر خالقهِ واكل من المنهيّ عنهُ تجرَّد من النعمة التي كان متسربلًا بها وصار مطرودًا مع ذريَّته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن . الى ان تحنَّن عليهِ سبحانهُ وتعالى وشاء اعتاقهُ فارسل ابنهُ الحبيب الاقنوم الثاني وكلمتهُ الازليَّة الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحلَّ في احشائها حلولًا لا يدرك ولبس منها جسدًا كاملًا وصار انسانًا ما خلا الخطيئة وتردَّد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثمَّ اختار لهُ تلاميذ اناسًا سُذَّجًا صيَّادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلًا لهم (متَّى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن . وقال لهم ايضًا (متَّى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم ايضًا عند صعودهِ انهُ يرسل لهم الروح المعزّي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعودهِ وجلوسهِ عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحلَّ عليهم كألسنة نار فصاروا يتكلَّمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقومٌ منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسُمعت اصواتهم في اقطار المسكونة . كانوا عائزين منضاقين مطرودين محقورين لابسين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعَّة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهَّروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان واختاروا لهم تلاميذ واخلافًا وخوَّلوهم تلك المواهب وإنعام الروح

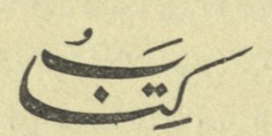
القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلًا بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين

فامَّا الكنيسة المقدَّسة عروس السيد المسيح التي جُعل مار بطرس الصخرة رأسها ومدبرها من بعد صعودهِ المجيد ومن بعدهِ للذين يخلفونهُ فلم تزل تمتدّ اطنابها وتتوسّع اكنافها حتى انهُ لم يخلُ مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الّا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحَّة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرّقة . واماَّ اللعين الثلّاب . عدوّ الخير والثواب . فلم يزل مجتهدًا ومحترسًا على ترعزع ضمائر المؤمنين حتى يطغيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكهُ وفخاخهُ وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانيَّة ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادّين بعضهم بعضًا حتى انهُ تبارك وتعالى سلَّط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيلهِ المقدَّس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبًا اليهود قائلًا (١ : اذا رأيتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اوَّلين . فلمَّا تفرَّقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدَّسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم أُناسًا مختلفي الاجناس والطباع . غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال ساكنين بعيشة وحشيَّة لا فرق بينهم وبين البهايم معذَّبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقومٌ منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدّمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيًا عن الابصار ومستورًا عن الافكار حتى انَّ القديس العظيم معلّم الكنيسة المقدَّسة مار اغسطينوس كان يظنّ انَّ هذا الاقليم هو غير مسكون من البشريّين . فسبيلنا ان نبرهن ونبيّن رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدَّسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حُسبوا من جملة القديسين . واماَّ هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنهُ فهو ممتدّ الطول

---

١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأً . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلًا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف

والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الأُخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولًا وعرضًا وقد جعلوا لهُ اسمًا جديدًا وسمُّوهُ ميريكا مسلوبًا (١ وسوف نتكلّم عنهُ في مكانهِ ونحرّر سبب كشفهِ وبيانهِ ونرقم كل شيءٍ في حينهِ واوانهِ . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لانَّ ذلك يوجد في كل انسان والحمد لله دائمًا الى الابد



سياحة الخوري ايلياس ابن القسيس حنا الموصلي
من عيلة بيت عموده الكلداني

يخبر بهِ عن بلاد الهند المغرب وسبب فتح تلك البلاد من السبنيوليين وايضًا عمّا نظر بعينهِ في مدَّة اثنتي‌عشرة سنة التي‌مكث فيها هناك في مملكة ينكي دنيا (٢ وفي بلاد البيروه (٣ وقد استخرج ايضًا من كتب تواريخ المعلمين المثبوتين بعض اخبار وترجمها من السبنيوليَّة الى اللغة العربيَّة (٤ بنظمهِ وترتيبهِ في تاريخ سنة الف وستماية وثمانين للمسيح في بلد ليما في البيروه

---

١) بقوله ان « اسم امركة مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفهُ كان حقُّهُ ان يُسمّى باسم مكتشفه كريستوف كولومب . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمهُ ميريكو (Améric Vespuce) من بلاد ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيًّا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخّص تلك الارض وهنودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذٍ سُمّيت تلك الارض ميريكا . . . وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانهُ كان المبتدئ والمجتهد في هذا الامر . لكن بعد ما انتشر هذا التكني في افواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعًا لم يكن ممكنًا ان يتغير فبقيت تسمّى ميريكا »

٢) يكي دنيا كلمة تركية معناها العالم الجديد وقد اراد المؤلف بهذا الاسم بلاد المكسيك وضواحيها التي كانت تسمى اسبانية الجديدة ومعلوم ان الثمر المعروف عند الافرنج باسم (nèfles du Japon) يسمّى عندنا ينكي دنيا نسبةً الى اصلهِ الاميركي

٣) البيروه (Pérou) بلاد معروفة في امركة الشمالية

٤) قسم المؤلف رحلته الى قسمين ذكر في الاول سفره من بغداد الى بلاد الفرنج وبلاد امركة وعودته الى اوربة وهذا ما عنينا الان بنشره . وفي الثاني وصف في سبعة عشر فصلًا تاريخ اكتشافها واخبار ملوكها القدماء والفاتحين لها من الاسبانيين متتبعًا الاخبار نقلًا عن التواريخ الاسبانية وسنلخص بالايجاز مجموع اخباره . وقد كتب هذه الاخبار في ليما عاصمة البيرو كما جاء في المتن سنة ١٦٨٠ لكنهُ اعاد فيها النظر وزاد عليها ما جرى لهُ حتى عودته الى اوربة

فاقول انا الحقير في الكهنـة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصداً زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمَّى ميخائيل آغا (١ ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينـا لصوص مقدار مائة نفر وصـار بيننا حرب فظفرنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفساً . لكن بقوَّة آلات الحرب من التفنك (٢ انتصرنا عليهم . ومن هناك اخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرَّفتُ بزيارة تلك الاماكن المقدَّسة

ثمَّ ذهبتُ الى مدينـة حلب . وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمَّى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبَّة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس عازار واختـهِ مريم ومرتا (٣ ومن هذه

---

١) ننقل عن الصكوك والاوراق الخطيـة المحفوظة في مكتبتنا ما نعرفهُ عن هذا الرجل : هو ميخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدير الطوبخانات الشاهانيـة في الشام وحلب وبغداد الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بامر الحكومة السنيـة ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مراراً المرسلون في رسائلهم لِما كان عليهِ من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبيَّة وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة . وقد ذكره بالثناء مراراً الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ وألمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لميخائيل آغا اولاد وكلَ بهم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق الشام ليتلقنوا منهُ التعليم المسيحي والعلوم الادبيَّة ويدرسوا اللغة اليونانية التي كان يلقنها عندئذٍ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين

٢) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى استعمالها باللغـة التركيَّة والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة او البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان

٣) يعرف القرَّاء ان مكان قبر مريم المجدليـة ومرتا ولعازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حلّها فالفرنساويون وسكان اقليم پروڤنسة خاصَّةً يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قُلَّة يحجُّ اليها الزوَّار متبركين وهي قلَّة سنت بوم (Sainte-Beaume) امَّا سائر المؤرخين لاسيَّما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يثق بها الفرنسويُّون تقليد يعزونهُ الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيهِ ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلًا عن تقليد قديم انَّ لعـازر ومرتا ومريم دُفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الراي استنـاداً الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسّون (Besson) اليسوعي بتـاريخ ١٧ نيسان

الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزيرة قريطش التي تسمَّى كِريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين أُخريين قريبتين منها تسمَّيان كورفو وسافولونية وهما ايضاً في حكم البندقيَّة التي تسمَّي باللسان التركي واناديك (١ المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا

وبعد ايَّام عبرنا الى ميناء البندقيَّة المذكورة . وكانت عدَّة الأيَّام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوماً من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء (٢ ثم اخرجونا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمَّى نازاريت (٣ باللسان الطلياني فكثنا هناك واحدًا واربعين يوماً كالمرسوم . وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفاً من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوماً اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستورًا ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوماً متنزهاً وزرت كنائسهم والغنى الذي نظرتهُ في كنيسة مار مرقس الانجيلي (٤ هو شيء لا يوصف

ثمَّ من بعد تلك الأيَّام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستَّة اشهر وزرت الاماكن المقدَّسة خصوصاً كنيسة مار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجتُ قاصدًا بلاد فرنسة فمرّيت على ارض امير يسمَّى كِران دوكه

١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في إس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحَّالتنا يذهب مذهباً آخر يتناقلهُ اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرّمون قبر القديس لعازر في كنيستهم الكبرى . والله اعلم بالصواب

١) واناديك اسم البندقيَّة او ڤينيسية باللغة التركيَّة

٢ كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع راساً المسافة بين اسا كل سوريَّة والبندقيَّة بثلاثين يوماً وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر او عشرين يوماً اذا ساعدتهم الريح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانئ جزائر البحر المتوسط كثيرًا ما كانت تؤخر وصولهم الى شهرين او اكثر

٣ نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيهِ يقضي القادمون من البلاد الموبوءة حجرهم الصحّي مُدَّة اربعين يوماً والكلمة مشتقَّة من اسم لعازر (Lazare) وبهِ سمّيت في الاجيال المتوسطة مآوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقيَّة يُدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماهُ المؤلف نازاريت لا لازاريت

٤ هي الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة في البندقيَّة

توسكانا (١ وهو يسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدًّا ذو مال وخزائن . ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلدة تسمَّى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور. وبعد ايَّام قليلة سافرت الى بلدة جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاتهِ . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال

٢ سياحته في فرنسة

ومن هناك ايضًا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثمَّ خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا (٢ وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضدَّ جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة

ثمَّ اني اجتمعتُ هناك مع رجل قديس يسمَّى موسيو بيكيت (٣ فهذا الرجل

---

١) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمهُ اذ ذاك الدوك فرديناند الثاني (١٦٢١–١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاساكل في ذلك العهد

٢) مدينة اڤينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنضس السادس من حنة ملكة صقليّة وكونتس پروڤنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيها الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسيَّة فاغتصبها الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها

٣) فرنسوا پيكيت او پيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلًا لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقويَّة مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدتهِ للكاثوليكيين نخصّ بالذكر ما صنعهُ لاقامة اندراوس بطريركًا كاثوليكيًا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبهِ واكرامهِ لما ازدان بهِ من السجايا. وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفًا على سزاربوليس (Césarople) ثم على بابل ونائبًا رسوليًا على العجم واختارهُ لويس الرابع عشر سفيرًا لهُ لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سوريَّة ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همذان من اعمال العجم في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياتهُ باللغة الافرنسيَّة Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse) اطلب ايضًا كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t. I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co. à Londres et Harrassowitz à Leipzig.) صفحة ٩٦ و١٠٢ و١٠٤ الخ)

الشريف كان سابقًا قنصلًا في حلب وبعد رجوعهِ من حلب ارتسم اسقفًا على مدينـة بغداد وكانت وفاتهُ في العجم في بلد امادان (١. وما لنـا زمان لنتكلّم عن فضائلهِ وحسن سيرتهِ. ثم بعد ايام خرجتُ من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحتُ زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم اني زرت اخاهُ امير اورليـانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفًا وقدّست لـهُ في الكنيسة التي في سرايتهِ. فاكرمني زائد الاكرام. ثم رحت زرت اميرًا يسمّى سانتينيان (S^t Aignan) ودفعت لهُ مكتوبًا كان اعطاني اياه عمهُ البادري حنّـا الراهب الكبوجي (٢ الصالح الذكر الذي كان رئيسًا في حلب فعمل لي عزًا واكرامًا جزيلًا لاجل وصيّة عمهِ البادري المذكور

ثم اني ترات في المكان وبقيت اتنزّه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبّة اهاليها للغرباء. وقد نظرت امرًا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عـدّة نساء عددهنّ سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهنّ عذارى وبعضهنّ ارامل. اما العذارى فقد تزهدنَ عن الدنيا وتركنَ كل نقدهنّ في الشركة المباركة وتسمّى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (٣ اعني مجمع الخيرات. هذا قد اسّسوهُ من القديم. وايضًا الارامل قد تركنَ مقتناهنّ في هذه الشركة. وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمّنة عند اناس الربح (٤ وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرّة من المال. ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرّة ويقسمنَ هذه

---

١) يريد همذان من حواضر العجم

٢) هو الاب يوحنّا دي سنت اينيـان (Jean-Baptiste de S^t-Aignan) الكبوشي كان مرسلًا تقيًا وغيورًا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة باجتهاد لا يعرف الملل وكتب معاريض لا تزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها. ومن معاصريهِ الكبوشيين الغيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونظنهُ اخاه. وقد وجدنا توقيعهما مرارًا في الرسائل المقدّمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسيّة مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنّا بطرس والاب يوسف ملاك

٣) هي جمعيّة راهبات المحبّة التي اسّسها القديس منصور دي بول فانتشرت في كل انحـاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين

٤) يريد المصارف

الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضاً على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضاً ينقدن لبعض بنات فقراء ويزوّجنهنَّ من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة

ثمَّ وفيما انا هناك والّا اقبل قاصد من عند السلطان محمَّد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمَّى باللسان التركي والفارسي ايلجي (١ فانا رحت زرت هذا الايلجي عدَّة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر

٣ اسبانية وايطالية

ثمَّ بعده خرجت من هناك قاصدًا بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمَّى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمَّى بونراس (٢ ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمَّى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطئ نهر كبير. وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضها واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين (٣

ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوماً انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحدّ بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمَّى سان جوان دي لوا (St Jean de Lux) من حكم فرنسة

---

١) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملًا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس . مدَّة كان فيها المسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقاً لهُ . اطلب Vandal: Mis de Nointel p. 24 et Mémoires d'Arvieux t. IV

٢) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطئ نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه

٣) يشير الى الاشغال التي أُنجزت بامر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر الممتدَّين حول الارض المسماة « ما بين البحرين « Entre-deux-mers »

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمَّى فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هنـــاك قصدت بلدة تسمَّى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانيـــة وعبرت على بلدة تسمَّى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرًا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيهِ صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللســـان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (١ ويظهر منهُ عجائب كثيرة وايضاً نظرت هنـــاك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني (٢ الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (؟) وكتابة قبرهِ باللسان الارمني . ثمَّ من هناك سافرت وجزنا على مدن وقرى لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امرأة الملك (٣ فيليبه الرابع لانهُ كان قد توفي الملك وخلف ابنًا صغيرًا يسمَّى كارلوا الثاني . ثم اني قدَّمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فأمرتْ ان يعطوني الف غرش (٤ من حاكم سيسيلية والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرًا على تحصيل الدراهم

فخرجت من مدريد قاصدًا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلدة تسمَّى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوَّج ملوك اسبانية ويشرطون على انفسهم حفظ القوانين الواجبة للحكم المحدود مثل السابق القديم . حينئذٍ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرتهُ فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدًا البحر . فوصلت الى مدينـــة تسمى برساونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منهـــا في البحر مع جكتريات (٥ ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء

---

١) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم

٢) لا نعرف عن هذا الملك شيئًا

٣) هي مريم حنَّة النمساويَّة (Marie - Anne d'Autriche) امرأة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنهِ اربع سنوات فقط فاقيمت امهُ على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبهـــا الادارة مدَّة ولمَّا مات عادت المملكـــة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشدَّه

٤) كان الغرش عندئذٍ يعادل الدينار (écu) قيمةً

٥) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن

يسمى كاتا كيس (Cadaquès) حيث يخرج المرجان . وبقينا هناك خمسة وعشرين يوماً بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لانَّ المجاز من هناك خطر عظيم

ثم بعد زمان نهار الاحد قدَّسنا وأقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشمَّاس يونان (١ قد ختم قراءتهُ في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزهُ المجمع المقدَّس من كتب واشياء أُخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدَّمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال لهُ وي الري (٢ فقرأه وجاوبني قائلًا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال لهُ ايضاً وي الري . فعرضت عليهِ الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انهُ يعطيني ايَّاها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب . وانا لمَّا نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعتُ الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاوَّل مثل ما كان وعدني فهذا ايضاً جاوبني قائلًا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئاً ولا عندي دراهم

ثم اني رجعت مرَّة أُخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليغورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة . ومنها جئت الى سراكوزا ورأيت هناك اخا الملك المذكور فاخبرتهُ بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجيء . فشقَّ ذلك عليهِ وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمهُ يوسف القتَّال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصداً بلاد البرتكال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجوداً في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (Isola Terceira) وكان

---

١) لا نعرف شيئاً عن هذا الشماس ونظنهُ درس في مدرسة البروباغندة
٢) وبالاسبانيَّة (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

هناك مسجونًا . وفعلوا بهِ ذلك لقلّة عقلهِ وعدم نسلهِ وبعد ان ثبتت معهُ امرأتهُ ثلاث سنين واما هذه الشقيَّة فكانت فرنساويَّة وزوجها الاوَّل كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI) ولكن هذا زوجها الثاني كان يسمى دون بيدروا Don Pedro فمع انهُ جلس في مكانهِ لكن لم يسمُّوهُ ملكًا لكن اميرًا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوَّجها رُزق بنتًا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلَّمت معهُ وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكَّان هذه البلدة فمنهم أُناس اجواد كرماء وكاثوليكيُّو الايمان . وايضًا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملَّة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوَّجون من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلمَّا يتحقَّقون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كوا التي من حكم البرتكال

٤ اهبة السفر الى امركة

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلدة مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقيَّة الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركيزا ده لوزوبلس التي ربَّت الملك عملت لي اكرامًا عظيمًا وطلبت من الملك دستورًا ان اقدّس لهُ فكان معي شماس رومي وكنت علَّمتهُ يخدم قدَّاسي . فدخلت كنيسة الملك وقدَّست امامهُ وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربيةَ الملك ان تسألني اي شيء اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فأشاروا عليَّ ان اطلب اجازةً وامرًا قاطعًا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب (١ فصعب عليَّ هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليهِ وطلبت الامر . لانهُ لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معهُ امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح

---

١) كانوا يسمون بلاد امركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقيَّة

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها عليَّ . فاماَّ الامير الذي كنت نازلًا عندهُ في الدار فجهزني بكل ما اعتازهُ في السفر واعطاني مكاتيب وصيَّة الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجتهُ من الملكة كان وصيَّتها عليَّ الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكَّام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقويت بالربّ واعتصمت باسم والدتهِ مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدًا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يومًا في البرّ دخلت اليها فرأيت مراكب الهند مهيئة ومستعدَّة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدَّمت امر الملكة فسجَّلوهُ لي واعطوني امرًا ثانيًا بموجبهِ

ولمَّا كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدَّمت امري مع المكاتيب الى جنيرال الغلايين (١ دون نيقلاوس ده كوردووا . فحبَّني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبهِ فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسًا من طائفة الروم مولودًا في اتينس لاني ما وجدت احدًا من ملّتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرَّحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرَّد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الغلايين ستَّة عشر غليونًا . فتودَّعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودقّ الابواق ونصبوا الاعلام والرايات

٥ السفر الى امركة الجنوبية

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي دنيا لكي يحضروا من هناك

---

١) جمع غليون اي السفن (Galion)

خزنة الملك. وايضاً التجار يوسقون الغلايين من كل اجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انساناً غريباً عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجراً ولا كاهناً ان لم يكن معهُ امر من الملك مثلما ذكرنا سابقاً . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد المجر حيث على عهدهِ فتحوا بلاد الهند . وهذه الغلايين تعود بالغنايم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون قدرهُ عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس انيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذى دخل عليهِ مات في تلك الليلة . فربطوا برجليهِ جرار مملوءة ماء وحدفوهُ بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكلهُ الحيتان. فلما حدفوهُ ضربوا لهُ ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهباً مقدم ديوان كيتو (Quito) (١ ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كنارياس Canaries (٢ من حكم اسبانية ولا زلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركباً انكليزياً موسوقاً من العبيد السود عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند

٦ الوصول الى امركة

وفي اليوم الرابع (٣ كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتأمل النواخذة (٤ في الماء . فلما نظروا لونها متغيراً علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانهُ ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقدار اربعين فرسخاً ولانحدارهِ وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيهِ نحو اربعين فرسخاً. ثم

---

١) عاصمة بلاد الاكواتور او خط الاستواء

٢) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش

٣) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله تصحيف اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس

٤) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملّاك السفينة او رئيسها

الى هذا الحد تتخلط ماءهُ في البحر ولا يوجد مثلهُ نهر في الدنيا (١ ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٢ ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتا (Marguerite) (٣ من حكم اسبانية . وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون يغطسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صفد اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فذات يوم بينما كانوا يستخرجونهُ نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونهُ في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونهُ الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاً كبيراً غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غداً يكون على اسم العذراء وايضاً غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوهُ احسن وابلغ من الاول . فطمعوا كذلك وقالوا نهار غدٍ نفي نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئاً ابداً والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤاً في ذلك البحر

٧ السير حذاء شطوط فنيزويلا

فنرجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية (٤ ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصون (Curaçao) وهي من حكم الاولنديز (الهولنديين)

---

١) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس باعظم من نهر الامازون

٢) كاراكاس عاصمة بلاد الفنيزويلا (Vénézuéla)

٣) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في اواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليهِ بابرٍ ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلو (Las Perlas)

٤) الجلاليه لعلّها كلمة (Guérillas) ومعناها العصائب التي تقاتل قتالاً غير قانوني

ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضاً ارسل لنا شختوراً ملآن فواكه وبوزه لاجل المشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن ايضاً ردّينا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولاً وعرضاً . والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملّحها لاجل زوادة (١ . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركباً صغيراً فرنساوياً . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانية وفرنسة ونحن كنا سبعة عشر غليوناً . ولما رأى الفرنساوية اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغاً فاخذت مراكبنا المركب فرأيناهُ موسوقاً زلاحف مملحة . واما الناس الذين هربوا وخلّوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة اميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركباً بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من اعدائهم

٨ وصف قرطجنة

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène) (٢ وكان السفر الذي سافرناهُ سعيداً لاننا بخمسة وخمسين يوماً دخلنا الى هذه الاسكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يوم للبر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا . وايضاً تشرفنا بالزياحات المقامة يومئذٍ لآلام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جداً وديوان

---

١) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي ارضها عند ما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣

٢) قرطجنة بلدة عظيمة بسكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفا امركة الجنوبية اليها تاتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزاً وبضائع . وقد كانت عندئذٍ سوقاً عاماً للرق ياتي النخاسون بالعبيد المساكين من الكونغو والغويان وغيرها من بلاد افريقية فيبيعونهم بيع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي الغيرة المسيحية على هؤلاء المنكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحواً من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة فكان لهم ابا حنوناً اكتسب منهم الى المسيح عدداً لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف ونيف ومات سنة ١٦٥٤

من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبّو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزاً عظيماً واكراماً جزيلاً . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوماً حتى جاءت المكاتيب مع الاولاق (١ من بلدة ليما التي هي تخت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتو بلّو (٢ وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين لكّاً (٣ وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوماً . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكرهُ وقنصر (٤ . وفي ليلة من الليالي طفّ على الشختورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يزّمرون ويدقون بالدفوف . ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتو بلّو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث ويُسمى في اللسان الهندي بنكثوا (٥ . فهذه الدبيبة اذا تغافل عنها الانسان تجوز في جسدهِ ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتصير قدر الحمصة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير

---

١) اولاق كلمة تركية معناها السعاة

٢) بورتو بلّو وقد كتبها سائحنا مراراً بورتو ويلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضاً (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Chagre) وهناك يهتمون الان بثقب ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر

٣) اللك كناية عن عشرة ملايين

٤) قنصر هي كلمة (ancrer) اي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح

٥) نظنه يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء بهِ الكاتب (اطلب Traité de Parasitologie du Dr. Moniez p. 612) . وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضاً جلدياً شبيهاً سماه الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتيلاً يشابه الحية وزاد ان سكّان قرطجنة وبورتو بلو يذهبون انهُ بالحقيقة حية او دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

ان يفقشوها ويحطونها على بصة نار فتطقّ مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفقشوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورَّم ويفقع ويموت ذلك الانسان . وايضاً في ذلك البلد يحصل خفّاش الليل كبير يجي الى الانسان وهو نائم ويبدأ يفصده ويمص دمهُ ويستفرغهُ وبجناحهِ يهوي على ذلك الانسان ليطيب لهُ النوم . ولا يزال ينصد ويتقيأ الدم الى ان يفيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منهُ (١ وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوماً والتجار يبيعون بضائعهم . فلمَّا ادخلوا خزينة الملك الى هذه الاسكلة ارسلني الجنرال حتى اتفرَّج عليها فرأيت شيئاً لا يحصى من الفضة والذهب

٩ تجارة باناما

ومن بعد ذلك قصدتُ ان اركب سفينة واتوجه الى بلاد صانتافه (٢ التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد . لكن جنرال الغلايين نصحني ومنعني عن ذلك قائلاً انَّ في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضاً المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرتُ عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوماً طلعنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الغلايين . ومن بعد عشرين يوماً وصلنا الى ميناء يسمى سان فيلبه ده بورتو بلّو . فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبلي الذي يسمى مارسوريچوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسكر واسقف وديورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطيفة جداً . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشر فرسخاً في جبال وحرش ما بين البحرين بحر القبلة وبحر الشمال . وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزّلوا خزينة الملك محمّلة على بغال الى بورتو بلو وايضاً احمال التجار والمسافة دون ثلاثة ايام ويأخذون الكروة ثلاثين غرشاً على كل بغل ويصير موسم التجار

---

١) هو وصف الخفَّاش المسمّى Vampire

٢) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

اربعين يوماً ويتسوقون البضايع التي مع الغلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون عشر كرات وكل كرة ماية الف غرش. فاما هذه الخزنة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علائف (١ على ارباب الوظائف والى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفون ايضاً على الغلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم. وهذا الميناء هو ارض حامية جداً وكثيرة الامراض . ففي تلك السنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقدار الف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والغلايين اخذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموهُ بيكونيا (٢ وايضاً كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زائد الدسم (٣ فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا يسافرون الى جزيرة لاوانا (٤ وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها

١٠ السفر الى باناما

فاما انا الحقير قصدتُ مرافقة هؤلاء التجار للبيروه. فاستكريتُ ثلاثة بغال بتسعين غرشاً اما الحاكم فما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع. فلما يمر عليهِ رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان. ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنَّهُ لا يدقر الهنود العبيد ولا يضرهم. فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلتُ لهُ لا اصدق ان لم ار بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش. فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيهِ هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رأيت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الّا وارتفع وامتد ان يجي يلدغني .

---

١) العلائف جمع عَلُوفة الرواتب والاجور

٢) صوف التفتيك (بيكونيا) لعلهُ يريد النبات المعروف باسم بينيونيا او بيگونيا وهو انواع ومنهُ نوع قطني ٣) سياتي وصفه

٤) يريد مدينة لاهافانا (La Havana) من اعمال جزيرة كوبا (Cuba)

فخرج الاحمر وصاح عليهِ « دونك يا كلب » فلما صاح عليهِ وقع على الارض . وانا شاهدتُ ذلك بعيني (١ . وايضاً في هذا الجبل رأيت اغصاناً ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رأيت داخلها حمامة بيضاء بجناحها كاملة ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثير من حكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا (٢ . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكنهُ مُحجر فمشينا فيهِ ثلاث ساعات (٣ . ومن بعد ذلك صعدنا الى راس جبل لنرقد تلك الليلة . وهذا المنزل يسمى بوركارفون . وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمة (٤ ولما وصلتُ الى البلد رأيت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة فرأيته رجلاً قديساً فصار لي معهُ صداقة عظيمة حتى تخاوينــا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمهُ وانا ايضاً اعطيتهُ خاتمي . وهذا الاسقف الشريف كان اسمهُ دون انطونيو ده ليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يدهِ . وبقيتُ في هذه البلدة مقدار شهر

١١ من باناما الى غواياكيل في بلاد البيرو

ثم ركبتُ في مركب وسافرنا في بحر القبلة الذي يسمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة من الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفتُ برفقتنا في المركب رجلاً

---

١) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا رحلات المعاصرين ونقرنا في كتب العلم فلم نرَ اثباتاً لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة اراد بها الحاكم ان يمنع السائح عن السفر اللهمَّ ان لم نؤوّل كلامه فنعزوه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدويّ كدُوي اطلاق بارودة

٢) لعلّها الزهرة المسمَّاة (Polygala) مع المبالغة في وصفها

٣) هو نهر شاغر (Chagre)

٤) اغار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها واحرقوها فاعاد الاسبانيون عمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة

خيّراً يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هو صهري فطاوعتهُ ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهذا الكلك هو خمس خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء خبطتُ وتعلقتُ بالكلك بتلك العكازة التي كان اعطاني اياها الاسقف . وهكذا اعاننا الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة . وسكنّا هنا ثلاثة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضاً يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه امر عسير الى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجهُ من هناك والّا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيهِ مخاطرة بسبب شدة امواجـهِ يسمى البحر العجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيهِ مفقود والخارج منهُ مولود (١ فلولا عناية الله الذي اعاننا حتى اننا خلصنا من شر امواجهِ لبقينـا على وجهِ الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل اسمهُ فوصلنا الى مينا يسمى سانتا ايلينـا (Ste - Hélène) يعني قديسة هيـلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كُماء رائحين ليحكموا كل واحد في منصبهِ . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوفنا من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيم لبعد الدرب

حينئذٍ اخبروني في هذا المينـاء عن رجل من الهنود عمرهُ ماية وخمسون سنة فقصدتُ ان اروح ازورهُ فنظرتهُ صحيح الجسم عتيق الايام . فابتدأ يحكي لـنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلًا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغارة كبيرة وهناك مدفونون أُناس من الجبابرة وايضاً اخبرني بان والدهُ كان حكى لهُ ان لمّا وصلت مراكب السبنيولية الى تلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا رأوا مركباً . ولمّا كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيها كانوا يظنون ان الفرس وراكبها

---

١) كأن الكاتب يذكر ما قرأه في كتاب الف ليلة وليلة فنقل هذه الفقر بحروفها

شقفة واحدة . ثم اني لمّا سمعتُ عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجبابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عيانًا فاخذت معي رفقاء من الهنود اثني عشر نفرًا مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فعبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلًا في يدهِ الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلتُ حيث موضوعة العظام فنظرتها ثخينة واما الجماجم فهي كبيرة جدًا فقمتُ قلعت من احدى الجماجم سنًا اي ضرسًا كان هذا قدّ كبره حتى انهُ كان يزن مائة مثقال لثقلهِ. وايضًا تأملت في عظم الساق وقست احدها فكان طولهُ خمسة اشبار . ففي بعض البلاد عمل احد المصورين قياسًا وتخمينًا لهذا الجسم فوجد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرًا . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جدًا مما نظرنا وانا اخذتُ معي الضرس المذكور (١

١٢ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caïman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلًا وخرجنا مع الهنود قاصدين كورة غواياكيل (Guayaquil) وهي ايضًا ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنين يسمى قيمان كالتمساح وفمهُ واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسدهِ خمسة اذرع . هذا اذا صادف انسانًا يبتلعهُ في الحياة ولكن الانسان الميت لا يأكلهُ فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انسانًا ام حيوانًا بالحياة يبتلعهُ ويركض على يديهِ ورجليهِ كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليهِ ويسحبهُ من مناخيرهِ ويوديهِ فيجتمع عليهِ البعض من هولاء الحيوانات ويقطعونه ويأكلونه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولاً على حفة النهر فيسمع هذا الحيوان صوتهم فيخرج

---

١) ذكر مرارًا السائحون في البيرو عظام الجبابرة القدم . قال كوريال من معاصري رحّالتنا في سفرته الى ضواحي غواياكيل: «وقد ذكر لنا الهنود ان قومًا من الجبابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء وابادهم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها حريقًا» وذكر غيره انه قاس سنًا فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا .لكنها عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية

ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيمان هو في المكان الذي نبحوا. هكذا يتحايل الكلاب على القيمان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هـذا الحيوان فالاولى هي انهم يأخذون عوداً قدرهُ نصف ذراع ورأسا العود منحوتان نحتاً رفيعاً ويربطون في نصف العود حبلاً متيناً. وهذا العود يشوونهُ ويصقلونهُ مثل السيف حتى يبقى صلبـاً مثل الفولاذ ثم يروح احد الهنود ويجلس كامنـاً على جانب النهر فلما يخرج هذا الحيوان وينظر الهندي يقصد ابتلاعه ويفتح فاهُ ليبتلعهُ حينئذٍ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكهُ بيدهِ فلما يقصد ان يطبق فاهُ ينغرس في فمهِ من الطرفين وكلما يعضّ عليهِ ينغرس في لحمهِ ثم يسحبونهُ بعزم شديد الى الارض ويجاهدون ان يقلبوهُ على ظهرهِ ليمنعوهُ عن المشي حينئذٍ يقطعونهُ شقفاً. واما الحيلة الثانية التي يصطادونهُ بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يدهِ حبل ويغطس تحت الماء ويصل الى هذا القيمان وهو طافٍ على وجهِ الماء ويرمي خربوتة (كبّة) الحبل على نصف ظهرهِ وهو تحت بطنه يحكحك لهُ وهو لاطٍ الى بينما يرتبط في بطنهِ بالحبل من نصفهِ ثم الهندي يسبح هارباً منهُ لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئاً تحت الماء لكن خارج الماء. فاذا خرج الهندي من النهر حينئذٍ يجتمع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونهُ وانا نظرتُ بعيني لمّا اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحداً من الحيوانات كان قد ابتلع صبياً من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك. وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة. فصعب على الخوري وامر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوها واخذها الخوري فدفنهـا . وهولاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبـهِ على الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فيأتي عصفور صغير ويدخل في فمهِ ويبدأ ينقر من وسخ اسنانهِ فيشبع العصفور ويرجع طايراً والحيوان يطيب لهُ بتنظيف اسنانهِ

١٣ من غواياكيل الى كيتو

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غواياكيل المذكورة . وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولا سيما من رهبان مار عبد الاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابا (Baba)

مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة . ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منها الچيكولاتا (Chocolat) وهذا الثمر تراهُ مثل البطيخ متعلقاً وملتصقاً على جسم الشجرة . فلمَّا يبلغ ويصفرّ يأخذونهُ ويقطعونهُ ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم ييبسونهُ حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامتهِ يصير مثل العجين ويضيفون اليهِ من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضاً من القرفة والعنبرخام ويجبلونهُ عجيناً ويجعلونهُ اقراصاً وينشفونهُ بالفيء . ومن هذه الاقراص يغلون الچيكولاتا ويشربونها مثل القهوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى يأتون بهِ من هناك ويبيعونهُ

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو (Quito) فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دى سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعاً وثخن القصبة اغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهذا القصب يجعلونهُ صواري اعني غطاء لسقف البيوت والبعض منهُ ممتلئ ماء ابيض وحلو وانا شربتُ منهُ . ثم اني امرتُ المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوءة ويحمّلها على بغل (١ . وايضاً يوجد في هذا الدرب اجناس وحوش كمثل السعدان والميمون الوان واشكال . وايضاً من قسم الطيور يوجد الدرَّة التي تتكلم وطير آخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير لكن ريشهُ ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كوانلپو . ومن بعد اربعة فراسخ عدَّينا على قرية تسمى انبات وايضاً يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان (٢ . ففي احدى السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زائد ورماد حتى غطى الجو وما بقي تبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الغيم وحرق كل شيء وجد من الحشائش على وجهِ الارض وعكَّر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم . ثم اننا وصلنا

---

١) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غوايا كيل الى كيتو ووصفهُ موافق لما قال الكاتب

٢) هي جبال (Cotopaxi) و (Chimborazo) وفيها قمم بركانية . والبولكان كالبركان

الى قرية تسمى نشبت ومنهـا رحنا الى قرية اخرى تسمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبات من طائفة الكرملتانيين قد بناهُ رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو وصرف على عمارتهِ واقامتهِ مايتين وخمسة وعشرين الف غرش . وهذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبـد الاحد ارسلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تثبيت هذا الرئيس من جنرالهم الذي في رومية

١٤ كيتو وضواحيها

ثم اني استقرّيتُ في ديرهم مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قدومي وترولي في الدير فخلّى سرايته وجاء سريعاً زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت لهُ تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا لملاقاتي قناقين (١ واتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سرايتك . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معهُ وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقاً معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنتُ اوجّبهُ وصرنا اصحابـاً بالصدق . وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنيّة بالاموال ومزخرفة بالكنائس والديورة . والاسقف المذكور كان غنياً جداً لكن عديم الكرم بخيلاً في العطاء . واما الماء الذي يشربونهُ في هذه البلدة فهو عاطل . فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضاً سبنيول فبقيتُ فيها شهرين . واما ذلك الضرس المذكور الذي كنتُ اخرجتهُ من عظـام الجبابرة الذين بمغارة سانتا ايلينا فكان لرجل من اصحـابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخّل عليَّ حتى يريه لبنتهِ . فانا طاوعتهُ كصاحب وسلّمتهُ الضرس فلمّا رأتـهُ الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مضيعوهُ (اخفوه) وما عدتُ وجدتهُ . ورمى اسقف البلد حرماً حتى يظهروهُ فما صار ذلك ممكناً . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض نزيف الدم ثماني سنين . فلما اضافني الاسقف عندهُ طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج

١) قناق (قُونَق) كلمة تركية معناها نزل السفر او المرحلة بعد قطع السفر

من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلتُ لهُ : انا قرأتُ في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم تزيف الدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربتْ منهُ سبعة ايام فبرئتْ من علتها . وايضاً رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخاً مثل جوخ اللوندرا (١. وايضاً حكوا لنا عن جبل عندهم ان منهُ خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيداً عن الجبل مقدار اربعين فرسخاً (٢

وذكروا لنا ايضاً ان من مدَّة سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبة جداً في الرؤيا فاخذها الى بيتهِ واخفاها في صندوق لهُ . فلمَّا جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيتهِ . فثالث يوم جاء ايضاً ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدَّة مرار وما امكنهُ ان يضبطها في بيتهِ . ثمَّ انهُ اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذٍ الاسقف واستقبلها باكرام وأخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمَّى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولمَّا يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد كيتو فتبقى عندهم تسعة أيَّام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفيعة ينقطع الطاعون عن البلد . ثمَّ يرجعونها ايضاً بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة

وايضاً ذكروا لنا ان خارجاً عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخاً نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملاً مخلوطاً بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيهِ النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويعزّلونهُ من الذهب . فانا نويت ان ابصرهُ بعيني . فأشار عليَّ اناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب

---

١) هو الجوخ العادي المصنوع اولاً في لندرا ثم في جنوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الاساكل الشرقية في كل سنة نحواً من خمسة عشر الف قطعة او ثوباً ثمن القطعة او الثوب مايتا فرنك . اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

٢) هو جبل بيشنشا Pichincha وقد انفجر انفجاراً مهولاً سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي

صعب جدًّا لاجل ذلك قصَّرت المسير اليهِ لكني اشتريتُ من ذلك الذهب في بلد كيتو
ثمَّ اني بعد ما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجتُ قاصدًا قرية تسمَّى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمَّى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (١ وتجد سكان هـذه القرية عديمي اللون مورَّمي البطون . وذكروا انَّ في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميّتة . وهناك ما يوجد فيءٌ غير ظل الاشجار والشمس دائمـة لا تغيب . وايضاً ذكروا لنـا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخاً يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة . ولكن ما يوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيءُ من هند الشرق لانهُ حادّ يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليهِ السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم . وايضاً ذكروا لنا انهُ يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونهُ وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونهُ الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونهُ للانكليز والاولنديز ولا للسبنيوليَّة . وايضاً في تلك الكورة دائماً صواعق وامطار شديدة

١٥ من كيتو الى كوانكا — وصف عيد الثور

ومن هناك رجعتُ الى بلد كيتو ومنها خرجتُ قاصدًا القرية لاتا كونكا (La Ta-cunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو. ومنها الى بلدة تسمَّى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس واناسهـا اغنياء واشراف فنزلتُ في دير مـار عبد الاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام . وقدَّستُ هناك . وعوائد قدَّاس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قدَّاسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قدَّاسي (٢ وانا بعد ذلك بقيتُ هناك ثمانية ايَّام . ثمَّ خرجتُ قاصدًا بلدةً تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة ايَّام وصلنا اليها

---

١) معنى لينيـا الخط يريد بهِ خط الاستواء (Ligne de l'équateur) الذي ينصّف الكرة الارضية الى قسمين متساويين شمالًا وجنوباً

٢) لرهبان مار عبد الاحد (الدومنكان) بعض طقوس قديمـة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لا تزال مرعية عندهم الى ايَّامنا

وكان دربنا جبالًا وثلوجًا وتسمَّى هذه الجبـال بارامو (Paramo) لشدَّة البرد الذي هناك. ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبـال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدَّة سنين كان اولئـك الهنود عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى أن وصلوا الى الدرب الذي يمر بهِ التجار السبنيوليّة . فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحمّلين قفلًا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل . ثمَّ انَّ الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصاً من ذهب . فاتى أهل القفـل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم

واماَّ انا فبعد وصولي الى هذه البلدة كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفًا وبقيتُ مطروحًا في الفراش عشرة ايام معالجًا من الاطباء . لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية . وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانهُ كان رفيقنا في المركب لما سافرنـا من اسبانية فاراد أن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمُّونـهُ في بلاد اسبانيـة عيد الثور ويلعبون على هذا النوع : اولاً يحوّطون ساحـة برفوف وخشب ثمَّ يضعون خوانات شيئًا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمـع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجـة . وبعد ذلك يأتون الى تلك الساحـة بثور من الثيران البرّية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجوناً . فعند ما يفلتونهُ على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعًا وما ينظر لهُ دربًا ينفذ منهُ . فبعد ذلك يدخل اليهِ خيَّال وفي يدهِ رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليهِ فيهرب منهُ وبعد ذلك يقتل الثور . والثور ايضاً بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونهِ . وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوهُ في موسمهِ كل عام

١٦ معادن الذهب

ومن بعد ذلك خرجتُ من هناك قاصدًا قرية تسمَّى خاوخا (١ فسرنا في صعوبة الامطـار ليلًا مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يومًا وليلة من شدَّة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجتُ منها قاصدًا الجبال التي هي معدن الذهب

---

١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخارطات التي بيدنا لوخا (Loja)

الى قرية تسمَّى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبـال مقدار ثلاثة ايَّام . ووصلتُ الى تلك القرية المذكورة وهي على راس جبل وحولهـا المعادن الذهبيَّة . فنظرتُ جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . اولاً يُطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذٍ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منهُ الذهب بتصويلهِ في الماء . ثمَّ يذوّبونهُ ويسكبونهُ اقراصاً . وانا اشتريتُ من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة ايام اردتُ ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو احسن من دربك لكنَّهُ درب قفر خالٍ من الناس والقرى فتحتاج أن تأخذ معك زوادة كفاية خمسة ايَّام . فوقفتُ لشورهِ وطعتُ لقولـهِ وحملتُ معي ما احتاج من الزوادة واخذتُ معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امهُ هنديَّة وابوهُ اسبنيولي

١٧ اسفار واخطار

ثمَّ سرنا في درب عاطل بين الجبال يوماً وليلة . فاراد الشيطان ان يطغي ذلك المكاري المستيسو لانـهُ كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيَّته على يد خادمي فاخذتُ منهُ السلاح وبقيتُ متحذرًا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمَّى باسيليكا والثانية جونجوناماه والثالثة واكاناما فلمَّا نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة امَّا انك نبيٌّ او قدّيسٌ . وقسوسهم ايضاً هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانا لاجل اني كنتُ رجلًا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزتُ تلك البلاد .

ثمَّ ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمَّى طاپيه (Amotapé) . فبينما ذات ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقـاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورًا وتدبيرًا على قتلي وانا كان معي صبيٌّ صغـير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسـان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والَّا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشاً اليَّ وفيَّقني واعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعـالى انفرد تلك الليلة بغلٌ من البغال وظلَّ هاربًا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض

خلفهُ طول الليل ورجع بهِ عند طلوع الشمس . فذلك الوقت اخذتُ منها اسلحتها لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرها اخذتُ السيف بيدي وناديتُ المستيسو وقلتُ لهُ: ابركْ (١ على ركبتيك وأصدِقني كيف طغاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فاقرَّ معترفًا وطالبًا مني ان اغفر لـهُ واسامحهُ . ثمَّ بعد خمسة ايَّام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفها وتركا بغالها فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثمَّ اني حكيتُ لهُ عن الاحوال التي عرضت فقال لي: الله نجاك من شرّهم لان اخي هكذا قتلوهُ في هـذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمَّى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيهِ سمـك زائد وهو كنهر الدجلة . فذاك اليوم جزتُ هذا النهر ووصلتُ الى بلد يسمَّى كولان (Ville de Colan) كلهُ هنود . ثمَّ نزلتُ في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدّس ثاني يوم وكل النذر الذي يقـدَّم للخوري يكون لي انا . فقدّست ثاني يوم وحضر جميع الهنود قدَّاسي وكان عددهم اربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القدَّاس جلستُ على كرسي وعملتُ بركة اعني خبزًا مباركًا . فبقيَ النـاس يجيئون يبوسون يدي ويأخذون البركة ويرمون النذر في الصينيّة . فبعد خلوص ذلك نظرتُ اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشًا

١٨ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبتُ الى حاكم بلد بيوره ان يرسـل لي تختروان الذي يسمَّى بلسان السبنيولي ليتيرا (٢ لان هذا الحاكم كان مرافقنـا من اسبانية مع عيالهِ . ففي حال وصول مكتوبي اليهِ أرسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحـل النهر يسمى بايتـا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمَّى بيوره درب اربعة عشر فرسخًا . فنزلتُ في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة

---

١) اي اجلس وهي كلمة حلبية

٢) Litera وبالفرنسويَّة Litière وتختروان كلمة فارسية مركَّبة من لفظتين معناها سرير السفر

وذكروا لنا ان من مــدَّة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيًا وما لهُ سوى بنت واحدة. فيومًا من الايام سافر ابوها الى غير بلد. فالبنت المذكورة نظرت رجلًا لابسًا ثيابًا حقيرة فقالت لهُ: ما بالك لابسًا هذه الثياب الدنيَّة. فاجابهـا قائلًا: لشدَّة فقري وعازتي. فاجابتهُ قائلة: ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك. فقال لها: نعم هكذا يكون. فوعدتهُ هذه البنت ان لمَّا يحين الليل يجيء ينتظرها في المكان الفلاني فتأخذهُ الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثمَّ انهـا اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادتهُ الى المغارة المذكورة كضرير. فلمَّا وصلا الى المغارة حملتهُ من اقراص الذهب على قدر مـا يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيهِ واطلقتهُ بسبيلهِ. فلمَّا جاء ابوها من سفرهِ قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنتهِ فسقاها سمًّا وماتت وهو ايضًا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها

١٩ من بايتا الى طروخيلو

وبعد أن مكثتُ هنــاك عشرة ايَّام خرجتُ قاصدًا قرية تسمى ليلموا فسرنا في درب مقفر عديم المــاء وكلهُ رمل مثل ارض مصر وكل أهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقيَّة نصارى من خوفهم. وثاني يومٍ خرجتُ قاصدًا بلدة للهنود تسمَّى لمبايك (Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية. فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى دارهِ وطلب مني ان اقدّس يوم الاحد واكرز على الهنود باللســان السبنيولي. فقدست نهــار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيسًا ومقدار ثلاثة الاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبتُ لهم مسابح وصلبانًا من القدس. ثمَّ بعد خمسة ايام خرجتُ من هناك قاصدًا بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيول. وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنتُ اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروان فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضلّ البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين

الاشجار وهذا الحرش داخلهُ عظيم لا لـهُ اول ولا آخر . فلما فقت على ذلك امرت خدَّامي ان ننزل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لآخرين . فلمَّا صار الصبح قلتُ للمكاري الهندي ان يعمل نارًا كثيرة ودخانًا عظيمًا . فامَّا رفقاتنـا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلمَّا نظروا اننـا تعوَّقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسًا ليفتشوا علينا . فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عالية وينشر علمًا ابيض يعني بيرقًا فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فرأونا هناك على نيشان ذلك البيرق واغتاظوا على المكاري كيف انهُ حاد عن الدرب . واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جدًا قدر الرمان وحبـهُ قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح يأخذ قطنًا على قدر حاجتهِ . وينسجون منهُ ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمـة . فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنـهُ اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيتُ هناك اربعة اَيام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثمَّ خرجتُ من هناك قاصدًا بلدًا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة اَيام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنتُ قد اخذتُ معي ما اعتاز اليهِ من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلـة يدك (١ لَمَّا يكون الوقت بروده كنتُ اركب عليها واذا وَغلت وتعبت من الركب كنتُ ادخل الى التختروان . فجزتُ الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنهـا اسقف وكان حينئذٍ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليًا . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنـة مار اينياسيوس اليسوعيَّة وايضًا قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائمًا يحكم في ٤ تشرين الاول . فرحتُ قدَّست هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس فانشرحوا كثيرًا من قداسي لان كان معي الة القداس والبدلة التي كان انعم عليَّ بهـا سيدنا البابا . وكان نيشانهُ وختمهُ مرسومًا عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها

٢٠ السفر الى ليما

فمن بعد أن بقيت في هذه البلدة عشرة اَيام رجعتُ قاصدًا بلد خاماركا (Cajamarca)

---

١) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة

التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتلهُ الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجتُ من هذا البلد قاصدًا بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلتُ من الجبل قاصدًا البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما لهُ مجاز فيجوزونهُ بشدَّة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئًا للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكًا فيجمعون قرعات يابسات ويربطونها ببعضها مثل كلك ثمَّ يجعلون عليها خشبًا وفوق الخشب حشيشًا مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوّتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعهُ سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدتهِ مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة لهُ يد . فالاول كان جنديًا وانقطعت يدهُ بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغتهُ حيَّة في يدهِ فقطعوها لهُ

٣٠١ الاقامة في ليما

فمن بعد ثمانية ايَّام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانهُ كان صاحبي من اسبانية . وكنت ديَّنتهُ الف واربعماية غرش في مدينة بورتوبيلو فاعطاني فائدة عن كل ماية غرش اربعين غرشًا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحتُ قابلت الوزير وقدمت لهُ امر الملك ومكاتيب الوصيَّة التي احضرتها معي من اسبانية . وهذا الوزير كان رجلًا مباركًا اسمهُ دون بغدسار ويلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انهُ يساعدني في جميع الذي اعتازهُ . ثم اني دخلت زرت امرأتهُ فاقتبلتني ايضًا بالاكرام . وهذا الوزير المبارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رُزق ولدًا وسنأتي بعد هذا بحكايتهِ . ثم اني رجعت فزرتُ كبير الكهنة الذي يسمَّى ارشيدياقون مع جملة ارفاقهِ الكهنة لمَّا كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خاليًا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين

الف غرش وتحت يدهِ مائة وعشرون خوريًا وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتيًا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يومًا وقعتُ مريضًا في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يومًا بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمتُ ورحت عند الوزير وتلاقيت معهُ ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولمَّا كنت مريضًا كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احمال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انهُ يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقًا . فلمَّا امتحنوا صنعتهُ وجدوها اختراعًا كاذبًا . وانا كنت حاضرًا ونظرت ذلك عيانًا

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان احد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لمَّا يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم . وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليع لحذف الحجارة . وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبتهُ في صدرهِ يحمّلون عليهِ ويأكلون لحمهُ لكنهُ ما يسافر بعيدًا . وكل يوم قناقهُ اربعة فراسخ لا غير فلمَّا يتعب ينام ويزبد ويتفل على اصحابهِ . وهؤلاء الهنود لمَّا كان يموت احد منهم كانوا يصنعون لهُ قبرًا عاليًا علو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبرهِ آلة صنعتهِ مع شربة من خمر الذرة

٢٢ وصف ليما

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزير وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند . وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمهِ يوصيهم عليَّ بالاكرام . وفي ليما عدَّة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار

اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة (١ · وايضاً اربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستاناً كبيراً على اسم الملك لان الملك يصرف عليهِ ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزموني لاقدّس في الكنائس والديورة ويكرموني غاية الاكرام · وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديوان الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلا كانترا يعني يوحنا المعمدان من بلد كانترا · وهذا المبارك كان رجلاً كاهناً وما اراد ان اصرف شيئاً على المأكول والمشروب · وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشاً ونصف غرش · وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Capildo) (٢ يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراماً لي · ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداساً باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي · فثاني يوم صنعوا ديواناً باياتهم (مع بعضهم) وارسلوا اليَّ الف غرش · وكذلك ايضاً في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون اليَّ شيئاً كثيراً وانا كان لي عجلة يعني عرباني (٣ باربعة بغال مع عبد اسود خادمها

٢٣ السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازةً من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فطاوعني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحت حكمهِ وصيةً عليَّ بان يعزّوني ويكرموني وارسل رفيقاً رجلاً من جنودهِ لكي يسبقني في الدرب ويهيّئ لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية · فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي قاصدين بلدة تسمّى خوان كاباليكا

---

١) مبالغة او خطأ من الناقل

٢) وبالافرنسية (Chapitre)

٣) او عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة

(Guancavalica) ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدًا . فابتدأت تتغيَّر امزجتنا وتقيَّأنا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجزنا عاجلًا الى ارض باردة . ثم بعد ما صعدنا الى اعلى الجبل سرنا من مكان يسمَّى بوناده بريا كا كا يعني زمهرير السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يُقال لهُ بروبنسيال (-Provin cial) فسألني عن الدرب فحكيت لهُ ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب اخر . ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمَّى نهر بوني وعليهِ جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار فقتنا عليهِ بصعوبة واخذوا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر . ومن بعد عشرة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية . وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاث مرات في النهار ووقت العصر دائمًا تمطر . وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيهِ معدن حجر الزيبق لانهُ مسلط على البلد

٢٦ معادن الزيبق

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرأيت هذا المعدن وعظمتهُ ونظرتُ ايضًا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم اروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضهُ انخاشًا (ثقوبًا) ملصوقة ببعضها موضوعًا في كل منها برنج (١ والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفًا صفوفًا ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران . فيضعون حجارة الزيبق بصنعة مصطفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضًا يضعون الحجارة على البرانج . وهذا البيت لهُ سقف مغطى لكن قوي عالي وفيهِ انخاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون بهِ النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قويَّة ويجري منها الزيبق هاربًا ومنحدرًا داخل تلك البرانج . فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدّئون النار ويخلونهُ يومًا وليلة حتى يبرد وبعدهُ يرفعون الحجارة والرماد ويكبونهُ (يلقونهُ) خارجًا ويطالعون الزيبق من تلك البرانج . وهناك وكيل من

---

١) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنّها بمعنى الخابية والبرنية

جانب الملك يضبطهُ للملك. وهو يفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشاً حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري (١ ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشاً لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك ايضاً. ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم (٢ وقدم لي اصحاب المعادن بشكاس (٣ مقدار خمسين قنطاراً من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور. فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلاً ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونهُ لكن عليهِ يسق (٤ من الملك ان لا احد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زيبقاً ولا احد يقدر يشتريه. وان تجاوز احد هذا الشرط ينهبوا مالهُ ويحل عليهِ القتل

٢٥ مياه محجّرة — وصف الصبّير

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونهُ اسمر يجعلونهُ في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذٍ ويصير حجراً يعمرون بهِ البيوت وانا نظرت ذلك عياناً. واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يوماً فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حالهِ خشبة وانا اهداني احد رهبان اليسوعية صليباً من هذا الجنس (٥

---

١) الخندكار لفظة ماتة بالفارسيّة معناها السلطان

٢) قرأنا في كتب الاب فوليه (Feuillée) المرسل الفرنسيسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفاً مسهباً لهذه المناجم قال: « ان مناجم الزيبق الشهيرة في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكاڤاليكا (Guancavalica) وهي ممتدَّة تحت الجبل وفيهِ حفر منازل ودروب ومعبد. والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع ». ثم وصف استخراج المعدن وصفاً لا يكاد يفترق عمَّا جاء في متن رحلتنا سوى انهُ قال ان سعر القنطار ثمانين غرشاً

٣) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة انَّ معناها الهديَّة او البخشيش

٤) يسق كلمة تركية معناها مانع او محذور

٥) ذكر الاب فوليه المذكور هذه المياه المحجّرة قال: ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجهِ ويتحجَّر سريعاً اذا ما سال في الحقول. ومن حجارهِ يبني البناؤون المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون ونقَّاشو التماثيل اذا ارادوا نقش تمثال فاذا ما اتموا القالب وسكبوا فيهِ الماء جاء التمثال حجراً بديعاً ينحتونهُ قليلاً زيادة في لمعانهِ

وبعد عشرة ايام خرجت من هذه البلدة وصحبتي اربعة عشر رجلًا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وانا اخذت دربي قاصداً بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) . وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس واكثرها اشجار يسمونها توكال اوراقها في سمك كفين وما لها اغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن اصلب وداخلهُ حاو كطعم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيدهِ الّا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتلئٌ منهُ البر والجبال في ذلك الاقليم (١ .

٢٦ الوصول الى اكوامانكا

ثم بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلًا صالحًا وكان قد ارسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان اسقف غني جدًا لانهُ كان اولًا رئيسًا لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استقريت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي . فثاني يوم باكرًا رحت انا زرتهُ فقام هو ايضًا بنفسهِ والتقاني وسألني عن حالي وعزمني الى دارهِ حتى اتغدى ذلك اليوم معهُ فطاوعتهُ وتغديت معهُ . ومن بعد المأكول انعم عليَّ بجنزير ذهب يسوى مايتي غرش . فلمَّا سمع اكابر البلد بالاكرام الذي عملهُ لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني . ومن بعد اربعة ايام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم واوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف ارسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا اسماء الذين زاروني واحدًا واحدًا . وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنيَّة جدًا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية ايام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميديه يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان ايليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميديه هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف اعطى خاتمهُ لعروسته وشقَّ الحيط وطلع راح يسيح في الدنيا (٢ .

---

١) هو وصف شجرة الصبَّير المعروفة

٢) اخبار مار ريشا مشهورة . (اطلب المشرق ٨ : ٦٥٠)

فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوماً في غاية ما يكون من الانشراح

٢٧ السفر الى كوسكو

ثم خرجت من هناك قاصداً بلدة تسمى كوسكو (Cusco) . وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائهِ وغير اصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظلّيت مسافراً . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريما (Apurimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضهُ ذراع اقل ام ازيد وطولهُ عشرين ذراعاً . فجزناهُ بصناعة عظيمة مع خوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن البغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الاخر واحداً بعد واحد . واما البغال فينزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذٍ يخاون رووس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجح وينهز كالمهد لمّا يدوس الانسان عليهِ . فلمّا حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالماً . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناساً من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر إيل وبغال وحمير وغير اجناس أُخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيون قوي انيس لمّا ينظر اناساً ام دوابَّ مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وانا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضاً من هذه الحيوانات ولحمها لا يأكلهُ غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منهُ البرانيط اي الشبقات وهو شبه التفتيك (١ لكن لونهُ عسلي

---

١) الشبقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) امّا التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم

كلون الغزال (١ وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كُلْيَتَيْهِ . فيخرجونهُ ويبيعونهُ بثمن غالٍ لانهُ نافع للسموم (٢

٢٨ السفر الى شبنكاي او ابانكاي (Abancay)

وبعد ثلاثة ايام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمَّى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها كل سنة ثلاثين الف خندكاري من السكر . والفلاحون الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمَّى وازاواليا انيكا اخو الملك واسارينكا المذكور فلمَّا وصلنا قريباً من البلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي واخذوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديماً قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانهِ قدر نصف بلد . ودير الراهبات ايضاً هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجَّارين الحديديَّة . وهي مشغولة بغاية الرستاق (٣

وسكان هذه البلدة يومئذٍ اربعة الاف بيت سبنيوليين وثلاثة الاف بيت هنود

---

١) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمّى (la Vicuna) او (le Guanaco) في كثير من الاسفار الامركيَّة وكانوا يستخدمونهُ لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها

٢) البازهر او الپازهر كلمة فارسيَّة معناها الترياق (من پاو = نظف وزهر = سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين اطباء العرب وامتدت شهرتهُ مع اسمهِ الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية او (Bezoard) بالافرنسية . قال التيفاشي : « هذا الحجر بايدي الناس صنفان احدهما حيواني والاخر معدني ومعدنهُ بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منهُ حجارة كبار وهو حجر رخو ابيض الحكاكة . واماَّ الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش اصفر منقط نقطاً خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحلّ سريعاً اذا حُكّ ومحكّهُ الى البياض واعظم ما يوجد منهُ من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى بهِ من بلاد فارس من تخوم الصين . والحيوان الذي يوجد فيهِ البازهر هو الايل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي اصله في لغة الفرس باكزهر اي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات السموم باجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت . الخ » وقد اعتبر في القرون الماضية كاعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم

٣) الرستاق او الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسيَّة وتأتي في اللغة العاميَّة بمعنى ترتيب ونظام

ولهم اسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل اولاد السبنيولية ومدرسة اخرى بناها اليسوعية لاجل اولاد الهنود · ومن قبل ان اجوز في هذه البلدة بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين واخذوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصدًا اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم · وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكنني ابيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانية رفقة · وهذا الحاكم لمّا وصلنا الى ليما تجوّز (تزوّج) مع بنت اعطتهُ نقدًا ماية وخمسين الف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقدًا للرجل حسب حالها والاشراف كشرفهم · وفي اليوم الثاني جاء اسقف البلد زارني وجاء ايضًا باقي الاشراف ورؤساء الديورة · ومن بعد اربعة ايام خرجت انا واثنان من الرهبان اليسوعية في عرباني واوفيت زيارتهم

٢٩ وصف ابانكاي

ثم طلبوا مني ان اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي · وايضًا اهل الديورة والكنائس بقوا يجيئون ياخذوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شماسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير اماكن · وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هديّة لائقة وارسل لي ايضًا اسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عرباني لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء · فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقهُ قبرًا مرتفعًا جدًا بعلو ذراعين وعرضهُ ذراع ونصف وطولهُ ثلاثة اذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جارٍ فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض واهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت ايضًا زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانهُ سقطت منازل كثيرة مع بعضها كنائس

وفي ذلك الحين جرى امر من ملك اسبانيــة في عزل الوزير صاحبي المذكور وانا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر العديمة المجاز

٣٠ هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجهاً الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة ايام وصلنا اليها . وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعــة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض اناس مع رهبان مار عبد الاحد وحاكم البلــد للاقاتي . فاخذوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانــهُ كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي ستر يعني حداً ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية . والهنود يأخذون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد ام عزيمة يذبحون واحداً من السبنيولية ويشونهُ ويا كلونهُ . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوهُ يسكرهم ويعطيهم شجاعــة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (١ . وما يوجد عندهــم لا قمح ولا شعير سوى درر مصر (الذُرة) (٢ ويجعلون من هذه الدرر بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العدد وشديدو القوة وما يقــدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شامخة وعليهم امير مدبر وهو الذي يحكم عليهم

٣١ معادن الفضة

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجهاً الى معدن الفضة المسمَّى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليهِ . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت امكث هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب

---

١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية اعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال احد الرَّحلة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانهُ يجد فيها طعاماً وشراباً ودواء

٢) درر ولعلها درا ، مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في ايامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية

يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة · وفيها تفرجنا على اخراج الفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيهِ الزيبق وطول النهار يحركونهُ مقدار عشرة ايام او اثني عشر يوماً والزيبق يجمع الفضة ويلتصق بها · ومن بعد الايام المذكورة يغسلونهُ في حوض مجلَّد بجلود البقر والماء ياخذ التراب ويوديه · والفضة ترسخ (ترسب) الى اسفل · هذه الصنعة تفرجت عليها عياناً

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي لهُ عندهم مقدار ثلاثين سنة · وهذا القسيس غنيٌّ جداً فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسة مايتي الف غرش · ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن اخر يسمى بونو

٣٢ مقتل احد المتمولين ظلماً

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمهُ دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية الف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش · فحسدهُ بعض اعدائه واقاموا عليهِ بهتاناً وشهدوا زوراً قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكماً في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك · فقام الوزير وجاء اليهِ الى جبل يسمى معادن بونو حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكهُ واخذهُ معهُ الى بلد ليما وشنق من اصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط ايضاً الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة الاف قنطار · وحبسهُ الوزير في السجن والزموا عليهِ القتل فطلب من الوزير قائلاً: اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان امر بقتلي فاقتلوني وان امر باعتاقي فاعتقوني وانا أفي جميع ما قرَّيت بهِ وها انا في حبسكم مضبوط · فلم يسمع الوزير والديوان لاقوالهِ بل سجلوا عليهِ القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصهِ لانهُ كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين الف غرش وامر الوزير القاسي القلب بخنقهِ نصف الليل وبعد قتلهِ ارسلوا معلمين ليذوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلمّا القوها في النار ظهرت اشارة الله

وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عجباً عظيماً للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منهُ حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموهُ . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتلهُ ظلماً فبعد خمسة عشر يوماً بينما هو داخل الى مخدعهِ تراءى لهُ ذلك المقتول ظلماً كأنهُ واقفٌ على الباب فلمَّا نظرهُ اعتراهُ الخوف والرجفة ودخل مرتعداً من ذلك المنظر فسألتهُ امرأتهُ السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضاً وبعد ستة ايام مات وصارت هذه ايضاً اعجوبة ثالثة امام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتلهُ انشلَّت بعد ايام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراتهُ لا توصف وكان ابًا للايتام والارامل وشفوقًا على الفقراء والمساكين ومفتقدًا الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقد البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمرهِ في عمل الخيرات حتى انهُ في جمعة الآلام ارسل مع اخيهِ الى بلد الكوسكو سبعين الف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يُقتَل بمدة قليلة اقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقهُ في المركب لما جاء من اسبانية فعرَّفهُ عن اقنومهِ وعرض عليهِ حال فقرهِ وكثرة عيالهِ . فلمَّا علم ان هذا كان رفيقهُ تحنن عليهِ وزعق (دعا) وكيل مالهِ واعطاهُ مفاتيح الخزنة وقال لهُ : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركهُ ياخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلمَّا حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثنتي عشرة بارة (١ وكل بارة تسوى الف وثلاثمائة غرش واخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسال الغني وكيل مالهِ قائلًا : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير. فقال لهُ : اثنتي عشرة. فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تاخذ ازيد من هذا العدد . ثم انهُ استكثر بخيرهِ وانصرف . ولهُ على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان لهُ اخ مختفٍ فلمَّا جاء وزير اخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلماً . فصعب ذلك على الملك والديوان لانهُ كان لهُ نجمٌ سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على اخيهِ المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وامرهُ ان يرجع يفتح معدن اخيه

---

١) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعلَّهُ اراد البدرة من المال

فامّا انا فما لحقت ذلك المقتول في ايام حياتهِ لكن تصاحبت مع اخيهِ الذي يسمى دون كسپار دو سلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل اصبر هذه السنة حتى تنظِّف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعاً الى اسبانية وهذا صار السبب المانع

٣٣ سبك الفضة

امّا نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدةً تسمَّى جكويت (Chuchui-to) . وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمَّى دون اندريس ده برناجيا من بلاد بسكايا . ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبهِ لجمع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رمليَّة ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك

٣٤ سكان البلاد الاقدمون

وعن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها ستون فرسخاً (١ وذكروا لنا انَّ الهنود أَلقوا في هذه البحيرة جنزيرًا من الذهب كان يخصّ الملك انيكا المذكور لمَّا قتلهُ السبنيولية وذلك الجنزير كان يحملهُ اربعة الاف رجل . وعند ما كان يعمل الملك لعباً كانوا يمدُّون هذا الجنزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجنزير او خارجاً عنهُ كانوا يضحكون عليهِ . والان لا يعلم السبنيولية في اي جانب من البحيرة أَلقوهُ

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئاً بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كَفَرَة يعبدون جبلًا منصوباً امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم

---

١) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البغال الذكورة ليذبحوها ويأكلوها . فامر هذا الوزير المذكور صاحبي ان يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار اربعة آلاف نفس وعملوا اربعين كلكًا وجعلوا فيهم اكياسًا مملوءة ترابًا وايضًا بعض افراس ثم اخذوا في ايديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة على الكلك فلمّا اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا اكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لأَن هناك وحلًا شديدًا . فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب ايضًا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرًا واستأسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة واتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من اسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . امّا انا فبقيت في هذا البلد ثمانية ايام

٣٥ اطلاق سبيل بعض المسجونين — معدن مرمر

ثم خرجتُ قاصدًا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيهِ ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوباكاوانا تعمل معجزات عظيمة يأتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصدًا قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني اربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فأَعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدَّرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمهُ دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام واخذوني الى بيتهِ . فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكى لي قائلًا : ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقمت نزلت الى الحبس وفي يدي ورقة كُتبت عليها اساميهم وناديت الحبَّاس ان يفتح الباب ففتحهُ وناديتهم واحدًا واحدًا الى خارج الحبس وأَعتقتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عالٍ بهِ معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا

الحاكم ان يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثل قبّة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنهُ توفي قبل ما يكمل عملهُ

٣٦ المال المجموع ظلماً

وبعد ثمانية ايام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصدًا بلدًا يسمَّى سيكاسيك (Sicasica) . وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت دينتهُ الفَي غرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيَّد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر . ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ اربع سنين . فهذا القسيس كان خوريًا متفردًا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع لهُ اموالًا كثيرة من الظلم . فقبل مماتهِ اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلًا انهُ طمر تحت فرشتهِ خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهبًا . وايضًا عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثًا لاخيهِ واختهِ . وانا كنت اعرف اخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واختهُ تسمَّى دونيا اينيس . فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه . فبعد ما دفنوه اتى اصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلمَّا حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دمًا لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلمًا . فلمَّا علم بذلك مطران البلد ارسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار لهُ اهتمام عظيم عند الناس

٣٧ السفر الى اورورو وبوتوسي

وانا بعد ثمانية ايام خرجت متوجهًا الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة ايام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان ياكل الَّا كروش البقر . وخارجًا عن هذه البلاد

ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جداً لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد اصلح من هذه الفضة . ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية ايام سافرت قاصداً بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا اول مرحلة في قرية هنود وكان عندي امر ان يعطوني بغالاً من قرية الى قرية وكنت اغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولتهُ الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب لنرحل . فارسلت افتش عليهِ فأتوني بهِ سكران فكنت اكلمهُ باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن اول ضربة السياط طلب ان يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلاً : ان الدواب مربوطة عندهُ في الدار . فسألتهُ لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ما ذاق السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منهُ ماء سخن ورائحة ماء الكبريت وياتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيهِ . وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم . واسم هذا المكان طاراپاپا . ومن بعد ستة ايام وصلنا الى بلدة بوتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجاً عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعتهِ واستقبلني بغاية الاكرام . وهذا الحاكم هو من اقرباء امرأة الوزير اوصاهُ بي في مكاتيبهِ . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض اناس زاروني وانا ايضاً رحت زرتهم

٣٨ زيارة السكتخانة ومعدن الفضة

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيهِ سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت السكتخانة اربعون عبداً يشتغلون واثنا عشر رجلاً اسبنيوليًا فرأينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والأنصاف في جانب وانصاف الأرباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة لهُ

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا

لزيادة غناه لان قد اخرجوا منهُ اموالًا لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عامًا من اربعة اطرافهِ وقد احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفلهِ ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندًا من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانهُ من خارج يبان صحيحًا لكنهُ فارغ من داخل . ويشتغل في باطنهِ في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنهِ وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجالًا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرضَ حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم . ولمَّا يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن

٣٩ وصف استخراج الفضة

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونًا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلًا ونهارًا ما عدا ايام الاحاد والاعياد . وبعد ما يطحنون الحجارة ناعمًا ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطارًا ويجعلونهُ كومةً ثم يجبلونهُ بالماء مثل ما ذكرنا سابقًا ويضيفون اليهِ الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونهُ ويحركونهُ بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقًا ازيد فيطعمونهُ حتى يكمل . فان كانت طبيعتهُ باردة فيخلطون فيهِ نحاسًا حتى يسخن وان كانت طبيعتهُ سخنة فيضيفون اليهِ الرصاص حتى يبرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن ام بارد هو انهم ياخذون منهُ في شقف فخار ويغسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيملسهُ (يدلكهُ) باصبعهِ على شقف الفخار المذكور فاذا تفرفط (تفرّط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخًا ومعتدلًا كاملًا فيجيء ممتدًّا على الفخار ومبرقًا . ثم يجعلونهُ في حوض ماء والماء جارٍ عليهِ يحركونهُ بالماء بصنعة . فالفضة مع الزيبق يرسخان الى اسفل والتراب ياخذهُ الماء الى خارج . فلمَّا يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليهِ وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعًا ثم يجعلونهُ في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق المجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس

مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والدهِ قائلًا انهُ كان لوالدهِ معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموهُ ويسدّوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منهُ . ففعلوا كما امرهم وسدوهُ وبدأوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدَّلت في تلك الايام واستوت كالثمرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم جبل الفضة هذا مسلط عليهِ نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة (١

ورأيت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدًا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه لقطع الدنانير وكل جمعة يشغل احدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وازيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشًا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي ماية مثقال باثني عشر غرشًا ونصف فلمّا يسكّونها تصير ستة عشر غرشًا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورًا للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء . ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتًا كثيرة لكن الناس سلموا . وانا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يومًا

٤٠ السفر الى جوكيساكا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجهًا الى بلدة تسمى جوكز . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيساكا (٢ . فاول يوم وصلنا الى مكان فيهِ حمامات ماء سخن خلقةً يخرج من الارض يسميهِ السبنيولية لوس بانيوس كاليانتوس (los Bagnos Calientes) . فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدبر البلاد لكنهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران لهُ معبور في كل سنة ماية وعشرين الف غرش وهذا كان

---

١) هذا من الخرافات القديمة

٢) وتسمّى الان لاپاز (La Paz)

سابقاً اسقفاً على بلدة اكومانا كا المذكورة وكان قد اهدانا هديَّةً في اسقفيَّتهِ وبعد ذلك انعم الملك عليهِ واعطاه هذه المطرانيَّة . فثاني يوم رحت قابلتهُ فاكرمني اكراماً زائداً. واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضاً بواسطة الوزير صاحبي لانهُ كان صديقهُ وكان يسمى دون برتلماوس ده باويدا . فارسل من قبلهِ رجلاً ليزورني . وجاء ايضاً من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام

وبعد اثني عشر يوماً طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء كان انعم عليَّ بها البابا اكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سرايتهِ واهداني هدية ازيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان روساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء امر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما وياخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح ازورها وان كنت اعلم بشيء من احوال الطب فاحكّمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض اجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهماً من رماد العقاريق (١ فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت ايضاً راهبة أُخرى في الدير مريضة فارسل اليَّ المطران دستوراً حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر احد ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة . فبحكمة الله وعنايتهِ طابت وتعافت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا ان يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكناً

٤١ توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان (٢ ولهم هناك

---

١) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية (ܥܘܪܩܐ) معناها الضفادع

٢) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة الباراغواي الشهيرة في تاريخ

ديورة · واسقف تلك البلدة كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان اروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكز · وتروح في هذا الدرب كلكات وينصبون لها اقلاع فالريح توديهم · ووعدني ان طاوعتهُ ورحت معهُ وجبرت في خاطرهِ يعطيني الف بغل · لان المواشي في تلك البلاد شيءٌ كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية · لكن امتنعت عن الرواح معهُ بسبب طول المسافة · وايضاً في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح · وهذا الاقليم واسع جداً · وهو اكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر · لكن سكانهُ قليلون وفيهِ ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد · وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ · وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) · وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز · وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشاً يسمى ايربا ديال بايل كواى وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من الحشيش المذكور مغلياً مع سكّر بماء سخن · فاذا شرب الانسان منهُ فنجاناً واحداً ينفعهُ واذا اراد ان يتقيأ يشرب منهُ اكثر فيدلق جميع ما عندهُ من العفونات · وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا (١

العالم الجديد . وهناك جمع المرسلون اليسوعيون عدداً من الهنود المتوحشين ففكوا رقابهم من اسر الرق واكتسبوهم الى الانسانيَّة بعد ان كانوا يعيشون عيشة البهائم وهذبوا عقولهم وادَّبوا معيشتهم وعلموهم مبادي الحضارة والاهتمام بحاجات الحياة من حرث وزرع وحصد والارتداء بالثياب ودرَّبوهم على المعارف والفنون اليدويَّة وغيرها فاصبحت هيئة اجتماعيَّة قائمة بذاتها كاملة الاعضاء سعيدة المعيشة لا يعرف لها مثيل في الاداب العمومية والفردية . قال موراتوري : هذه هي المسيحيَّة السعيدة بالحقيقة . وقال بوفون (Hist. Nat. T. XX) : لا شي اشرف للدين ممَّا توصَّل اليهِ المرسلون اليسوعيون بتفانيهم فمدنوا امماً متوحشة واسسوا هيأة اجتماعيَّة كاملة ولم يكن سلاحهم الا الفضيلة . وقال روبرتسون البروتستنتي : (Hist. Charles V, T. I) قد بيَّن اليسوعيون قدرتهم على الخير بنوع خاص في العالم الجديد . فان فاتحي هذه البلاد كانت رغبتهم في المكسب والنهب والاستيلاء والفتك . ولم تكن غاية مرسلي الباراغواي الا الانسانيَّة . وقال اخيراً فولتير (Essai sur les mœurs, X p. 56) : ان تأسيس رسالة الباراغواي بواسطة اليسوعيين يبيّن بنوع ما اسمى درجات الانسانيّة

١) سماها المؤرخون والرحالون Yerva de Pales او Caacuys (اطلب Histoire Générale des Voyages, T 14 p. 146 etc.)

وعن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واسقف. ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار خمساية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبلـه وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبله اسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنيرال وهم دائماً في حرب مع الهنود والكفرة لان هولاء الهنود من قبل ما كانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعد ما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا مثلهم. وما كان لهم اوّلًا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبها . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيوليـة دائماً واذا مسكوا احداً منهم يشوونهُ وياكلون لحمـهُ. واما الراس فيخرجون جمجمتهُ ويعملونها طاسة ويشربون بهـا نبيذًا من نبيذ بلادهم وهولاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون للسبنيول وصيةً من ابائهم واجدادهم الّا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قُتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية

فمن بعد خمسة واربعين يومًا خرجتُ من هذه البلدة صحبـة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبـة من الوزير صاحبي المعزول من ليا. ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة. ولمّا كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (احضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلمّا وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتهـا عندي في الصندوق فبقيت متحيرًا مع خدامي ورفقائي من هـذه العجيبة فلمّا سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تأويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديتـهُ اياها على ظني انها ترجع ثاني مرّة فما رجعت

٤١ الوزير المعزول

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليا صاحبي الذي عزلوهُ بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليا ليحكم مكانهُ الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر. وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عملـهُ مطران ليا . ولمّا انعزل صار المطران عدوًّا لهُ كبيرًا. واما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهنـد كانوا كتبوا ضده الى الملك والى اخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق

فبعـد وصول المعاريض من الهند الى اسبانية حصلت في يد اخي الملك الذي كان عدوًا كبيرًا للوزير بسبب ان اخا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزلهُ . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف الليـل تاهت البغال فنمنا تلك الليلة في شدَّة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنـا الى البلدة المذكورة . فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازته وخلصتني من الغريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كأخ لهُ بعز واكرام . فهناك حكوا لي عن هندي لهُ معدن قوي غني وما اكتشف عليهِ السبنيولية فكان يروح هو وابنـهُ الى المعدن سرًا في الليل ويقطعان حجارة الفضة وياتيان بها الى دارهِ ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انهُ اعطى حسنة قداس اربعين الف غرش ارسلت وراه ودعوتهُ عندي وقلت لهُ : اخبرني لاجل اي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلـدة . فاجابني قائلًا : رأيت هنودًا اقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا اخيرًا تحت العذابات . هو هو السبب . فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعماونهُ على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب

ثم سافرنا في البحر ثمانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما الذي يسمى الكليا El-Callao وهو يبعد عن البلد فرسخين . والفضة الرمليـة التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي . ثم دخلنـا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . واماَّ المطران الموكل على الحكم ضادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسـهُ في دارهِ قائلًا : اولًا تنفي الوزير الى مكان بعيـد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوي الناس . فاحضروا الوزير وعرضوا عليهِ امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لمَّا يعزل حاكم ينفونـهُ الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقًا فامر بنفيهِ الى مايتين فرسخ . فطاع امر الملك وخرج متوجهًا الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى پايتا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد

فرسخين وبقيت امرأتهُ وخدَّامها خارج ليا فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طلعت في رفقة الوزير مع بعض اصحاب لنودعهُ الى ميناء الكليا. وهذا الرجل كانت امانتهُ زائدة في العذراء فقال: ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدتهِ القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبهُ مسافرًا ونحن رجعنا الى البلد

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معهُ وقلت لهُ : كيف يحلّ من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت. فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قائلًا : انا مغتاظ على امرأتهِ لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان. وكان الوزير لمَّا ودعتهُ امرني ان ادير بالي على بيتهِ وعلى امرأتهِ لخوفهِ من الاعداء ان يسقوها سمًا وانا بقيت سنة وشهرين مهتمًا بعائلتهِ

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورًا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلًا . فمن بعد ذلك اعطاهُ دستورًا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الآلام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجَّل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقَّة اوراقًا بان الوزير المعزول تقرَّر ان ليس عليهِ ذنب ولا اثبات بعلة من العلل بل خالص من جميع المصاريف والزلل. فلمَّا سمع المطران حزن وخزق ثيابهُ من الهِ. حينئذٍ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليا . فخرج لملاقاتهِ من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوهُ الى القرية حيث كانت امرأتهُ وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعهِ سالمًا . ومنحهُ الله بعد رجوعهِ ولدًا ذكرًا سمَّاهُ فرديننده ديلا كورا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون

٤٢ صداقة السائح للمظلوم

ولمَّا كان الوزير منفيًا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال اليَّ واتركهُ وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تحتاز. فقلت لهُ: كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبتهُ لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انهُ معزول . والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصلهُ وشرف

جنسهِ لا يترك صديقهُ الاول عند عزلتهِ بل يساعدهُ ويسليه في كربهِ وضيقتـهِ . وانا واقف ايضاً في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضاً صديقك . فقال لي : اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعند ما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ فقال لي : اذهب اليهِ وكلمهُ بكل ما في خاطرك . فرحت اليهِ وتكلمت معهُ فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت لهُ : اذا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نيَّـة ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصـة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت لهُ : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي لهُ وانا ما تحبني مثلهُ . فقلت لهُ : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونهُ ونكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلًا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واحبك واحب قريبي . ثم قام من كرسيهِ وجاء احتضنني قائلًا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافعالك تشهـد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ ما جرى ففرح وفرحت ايضاً امرأة الوزير وقالت : الله تعـالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك

٤٣ عودة الرحالة من البيروه الى باناما

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجاً عن البـلد بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانهُ كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية . وكنت ايضاً في ذلك الزمـان اكتب تواريخ سفري . فلمَّا وصلت المراكب جـاء معهم وزير جديد . وصار لي في هذه البلاد ست سنوات لسبب صاحبي الوزير المعزول لانهُ كان وعدني انهُ يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الى يدهِ . فلمَّا نظرت ان وزيرًا جديدًا قدم قطعت املي . فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلُّو ورست هناك امر مطران ليما الذي كان يومئذٍ متوليًا وحاكمًا على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليما الخزنـة على المراكب التي تخص الملك وينحدروا الى بورتو بلُّو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لمَّا تصل الغلايين من اسبانية الى بورتو بلُّو وتنحدر المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلُّو على

مقدار الف بغل ولا يزالون ينقلونها مدَّة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخاً . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونهُ بشختورات يسمونها كتاوس (Chatas) موسوقة الى بورتو بلُو ويصير الموسم حينئذٍ مدَّة اربعين يوماً لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء

فلنرجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم . وصار ذلك اليوم عظيماً بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمَّى الكلياو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكلياو وصلنا في خمسة ايام الى ميناء يسمى يابتاف (Amotape) واشترينا كل ما نعتاز اليهِ من الزوادة فهناك الدجاجة تسوى غرشاً ونصف والغنمة تسوى خمسة غروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة ايام الى مكان في البحر يسمى المورتوخاده (Amortajada) يعني المخنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق وينحدر الماء ويسوق المراكب على انحراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدتهِ الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) تزعجنا وتدفعنا للارض حتى تأَملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف (١ . فطار عقلنا وقنا عموماً انتصبنا للصلاة والكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتضرع بتخشع لله ولوالدتهِ مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة وراءنا من بُعد لان الهواء كان هامداً والبحر جامداً لما رأَونا قادمين اليهم بالهواء تعجبوا جداً . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا إلينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوماً ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملًا اثني عشر مليونًا من الذهب . فلما وصل الينا الجنيرال امرنا بالخروج من هذه الاسكلة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما باثنين واربعين يوماً وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود

---

١) نظنهُ اراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلًا عن السرياني . والمعنى العربي معروف وهو المغارة او البيت المنقور في الجبل

اسبنيولية جاءوا من ينكي دنيا ليفتشوا على قرصان البحر يعني اللصوص الجلاليه (١ الذين في البحر القبلي . فاشار عليَّ صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانهُ استحى مني بسبب انهُ ما قدر يعمل معي شيئاً من الذي وعدني بهِ . واستعد ان يجهزني بكل ما اعتاز ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربهِ

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ العظيم ونؤرخ اخبار سفرتي الى بلاد ينكي دنيا (٢

٤٤ السفر من باناما . جزيرة سليمان

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنا في المركب الكبير الذي يسمى قبطاناً وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة ايام وملأنا ماء وتسوقنا خضراً وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى رياليخو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينا الريح وبقينا اثني عشر يوماً لا يتحرك المركب . وكان ايضاً بجانبنا جزيرة أُخرى تسمى ايزلا ده لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) اعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركباً سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابتهُ ريح مخالفة ورمتهُ في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرون بعض اشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطلعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملاً ليملأوا الحوض الذي يطبخون عليهِ ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطبَّاخ مثل العادة . فاراد ان يحركش النار فرأى الرمل كالحجر فقلعهُ فاذا هو قرص ذهب فلما علموا ارادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهم لم يكونوا أكَّدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمَّى في كتب القدماء ايسلا ده سلامون (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بان سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والان السبنيولية ما لهم نشاط واتفاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة (٣ وبعد الزمان المذكور سهلت لنا الريح

---

١) اطلب صفحة ١٤

٢) يريد بلاد المكسيك اطلب صفحة ٣

٣) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحَّالتنا لكنَّ كثيرين من الكتبة

السفر فسافرنا وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى ميناء يسمَّى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لان هناك يجري نهر مـاء حلو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملأوا الماء وانا خرجت معهم الى الارض لشدَّة الحر وابتدأتُ اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي. وهذا النهر عمقهُ ذراع فقط ورايت رملهُ مخلوطاً بالذهب فأريته رئيس المركب الذي كان مولوداً في تلك البلاد فقال لي: لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب. لكن السبنيولية لا يتجرأون على المجيء لاستخراجهِ لسبب الهنود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبـال لان في ذلك الصقع يوجد هنود بغير عدد. وفيما نحن راسون حدث علينـا اضطراب عظيم في البحر ومن شدَّة الاضطراب انقطع حبل المرساة مرتين

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة ايام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة ايام الى ميناء اسمهُ كلديره (La Caldera) اي ميناء التنجره (الطاجن) فرسينـا هناك. فقلت لعسكر المركب ان يحوّشوا لي من البحر صفداً فاتوا بتسع صفدات ففتحتها واحدة واحدة لناكل ما فيها ففتحت واحدة ورايت داخلها حبة لؤلؤ قدر الحمصة. فقلت للجنيرال: ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونـهُ. فقال لي: هذا ايضاً لخوفنا من الهنود الكفرة. وبقينا في الميناء يوماً وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطراً سخناً. وبعد خمسة ايام انتهينا قرب جبـل يسمَّى پاپاكايو (Papagaïo) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري المركب ثلاث شقف فبقينـا من القاطعين الرجاء وايسنا من الخلاص لاجل الاضطراب الذي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هدي البحر وهمدت الريح

٤٥ بلاد نيكاراغا

وبعد ستة ايام وصلنا الى ميناء رياليخو (Realejo او Rialexo) ونزلنـا الى الارض فبقينا هناك يوماً وليلةً فكتب الجنيرال الى اسقف مدينـة ليون (Leon)

ينفون صدقهُ سيما بعدَ ما سعت اسبانية سنين طويلة في تحقيقهِ ولم تبلغ المرام. فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيَّتهِ اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالتـه. وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سعى انطوان دى مدينـة وغيرهُ من البحَّارة في البحث المدقَّق فذهبت مساعيهم ادراج الرياح. على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانهُ استجلب منهـا الذهب اختلاق لم يُبنَ على اساس

التي تبعد عن هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمهُ بقدومي فلمَّا سمع فرح فرحاً عظيماً لانهُ لمَّا كنت في باريس كان تصاحب معي وكان لهُ دعوى مع الرهبان في باريس وهو ايضاً كان راهباً من طائفة المرسه (Merci) فحين كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليهِ ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصداً مدينة ليون ولمَّا اقتربت رايت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثمَّ اخذني الى بيتهِ وبقيت عندهُ ثمانية ايام . وهناك صادفت رجلاً صاحبي كنت نظرتهُ وتعارفت معهُ في ليما . فهذا الرجل المبارك اهداني بغلة جيدة والاسقف ايضاً اهداني بغلة اكراماً

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى سلواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمَّى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويخو (Nostra Senora del Vejo) يعني ضيعة ستنا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لا سيما مع المسافرين في البحر ولمَّا كنَّا في لجاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقاً كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها اقدس لها تسعة ايام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوماً ووفيت نذري (١ وايضاً كنت انتظر سنبكاً الذي يسمَّى كانوه (Canoa وبالفرنساوي Canot) لنجوز هناك في مضيق البحر وهو نحو اربعة وثلاثين فرسخاً . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبر في هذا المضيق لانهُ مخطر جداً وفيهِ تغرق سفن كثيرة . لكنني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك

٤٦ بلاد سان سلفادور — وصف نبات النيل

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الآخر ونزلت في قرية تسمَّى اماپالا (Amapala) وهي اربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيولياً آتياً من ينكي دنيا وذاهباً للپيرو . فحكى لي انهُ باع فرسهُ لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانهُ كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسهُ بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية ايام اربعين فرسخاً فوصلنا الى قرية هنود تسمَّى اموشايو . ومن

١) ذكر المؤرخون هذا المعبد ووصفوا المعجزات التي تجريها فيهِ العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو او الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

هناك رحلنا وسرنا ثمانية فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى صان ميكاييل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فراسخ الى قرية تسمَّى زرواكين. ومنهـا سرنا ستة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمَّى استيبيك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فراسخ فوصلنـا الى قرية تسمَّى كوكينيت. ومنها رحلنا الى قرية صان مرتين (S. Martin) ثمانية فراسخ. ومن هناك الى صان سلوادور (S. Salvador) . وفي هذه التخوم يزرعون النيل . وهذا النيل يشبه النفله اي الفصَّه التي يطعمونهـا للخيل وكل واحد منهم لهُ مزرعة فيزرعون النيل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامة انسان فيرخص في ينكي دنيا وبعد ما يكمل زمان حصاده يحصدون ذلك الحشيش ويرمونهُ في حوض عظيم فيحمى ويأكل بعضـهُ البعض وفي ذلك الحوض دواليب ليخبطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزبد فياخذون في اياديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونهـا في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل قروتي والاسفل يعملونهُ نيل التحته

٤٧ بلاد غواتيمالا

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالابا وهو خمسـة فراسخ. ومن هناك الى قرية تسمَّى اوبيكو سبعة فراسخ. ومن هناك الى قرية قديسة حنة ثمانيـة فراسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فراسخ وهذه القرية يسكنهـا مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وامّ سودا وهولاء هم سمر لا بيض ولا عبيد. ومن هناك الى قرية كليه‌تاكو ثمانيـة فراسخ . ومن هناك الى قرية اسكلاوس عشرة فراسخ. ومن هناك الى قرية بيتاپا اثني عشر فرسخاً. ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فراسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عبد الاحد فقبلوني بفرح عظيم. وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمَّى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) يرأسهُ واحد يسمَّى برزيدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضاً في هذه البلدة اسقف غنيٌّ جداً اسمـهُ دون خوان اوتيكا فرحت زرتهُ وجاء هو ايضاً زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافهِ فراح حكى لـهُ عن حلَّة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحاً عظيماً وامر اثنين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفـا في خدمـة قداسي عندما اقدّس . وبقيت في هذه البلدة اربعة وثلاثين يوماً معززاً

ومكرَّماً من الجميع وقدست في جملة كنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقة . وكان ايام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقني اثنـــان من جواويش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة تبيل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وانا سرت مسافراً ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتمالينـــا بجاكو . ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ . ومن هناك الى قرية باسيا طولوز سبعة فراسخ . ومن هناك الى صان انطون جيشتبك (St. Antoine de Suchitepec) اثني عشر فرسخاً . وهذه القصبة كان لها حاكم من مدينة سيويليا فاشتكى عليهِ الهنـــود الى ديوان واتيالا حتى يعزلوه فقمت انا توسطت لهُ وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكاييل ده اهورتو . وهذا الرجل قوي مسيحي ومحبٌّ للكهنة ولما كنت اروح ازوره كان يبرك على ركبتيه ويبوس يدي . وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفُّونـــهُ جيكولاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جداً وقد جعلوا اربعة آلاف غرش رهناً حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يصرفوا من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبــة . ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فراسخ . ومنهـــا الى قرية صان كريستوفل ثلاثة فراسخ . ثمَّ الى صان فرنسيسكو الالطو ستة فراسخ . ثمَّ الى قرية خولانيلس ستـــة فراسخ . ثمَّ الى رانجو قرية صان رايمون خمسة فراسخ . ثم الى اكواكتينـــا انكو فرسخان . ثمَّ الى قرية بيانطو فرسخان . ثم الى قرية كوكومادانس عشرة فراسخ . ثمَّ الى قرية صان مرتين ثلاثة فراسخ ثمَّ الى قرية بيقيطان فرسخان . ثمَّ الى قرية صان انطون برسكين خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية وسيتمنام . ثم الى قرية اسكيتنانكو (Isquintenango) سبعـــة فراسخ . ثم الى قرية سوسويتانكتو سبعـــة فراسخ . ثمَّ الى قرية بينولا ثلاثة فراسخ . ثمَّ الى قرية توبيسيا (Teopisca) خمسة فراسخ . ثمَّ الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فراسخ . ثمَّ الى بيلاكانا فرسخان . ثم الى قرية استابا ستة فراسخ . ثمَّ الى خيابا خمسة فراسخ ثمَّ الى بلد جيابا (Chiapa) السبنيول فرسخان [١]

---

[١] هذه الاسماء مبهمة في الاصل وقد حققنا بعضها قدر ما استطعنا واثبتنا غيرها كما وردت

٤٧ بلاد شيابا (Chiapa) – رسول السلام

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمّى دون الونصو براوو كان متخاصماً مع بروبنسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عبد الاحد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلمّا نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهما تألمت كثيرًا فتكلمت مع الاسقف ومع البروبنسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدَّس مصمودًا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسهِ قمت انا من الكرسي واخذت معي البروبنسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت لهُ : قال السيد المسيح سلامي اتركهُ لكم وامرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدَّس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الخبيثة والحقد ونبدلها بالمحبة والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا. فقام الاسقف رفع يدهُ وبارك عليهما وهو يضحك قائلًا : تبارك اسم الرب هاءنذا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذٍ حلَّ حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين للغداء فبعد ما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرًا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور اهداني بغلة جيدة وايضاً البروبنسيال اهداني هديَّةً وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسألوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوماً سافرت قاصدًا قرية تسمَّى توستا وهي على فرسخين . ومنها الى قرية تسمى اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثمَّ الى قرية بيانتيك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexixo او Mejico) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيالا (Guatemala) لان حكم واتيالا قائم وحدهُ

٤٨ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) او (Mejico) – وصف القرمز

ثم سافرنا الى قرية سانا تيتيبك التي تبعد ستة فراسخ ثمَّ الى قرية استينبك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلابا وفي هذا البلد كان حاكم يسمَّى دون خوان بيتيا وهذا كان عمهُ كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولمَّا سمع بقدومي خرج

فرسخين خارج البلد للاقاتي واستقبلني بعز واكرام وانزلني في داره. وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلّحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بمعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخاً ثمَّ الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثمَّ الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثمَّ الى بلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل شريف من اسبانية لهُ اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوباً الى اخيه الذي في واخاكا . فلمَّا قربت من هذه البلدة ارسلت لهُ المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد وانزلني في بيت كان هيَّأهُ لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغاً وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لمَّا كان آتياً من الهند الى اسبانية وقع اسيرًا في الجزائر فسهل لهُ الله فأُعتق وصار رئيساً على قسوس هذه البلدة وكانت لي معهُ صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمهُ دون ديونسيو . وامَّا هذه البلدة فهي غنيَّة بالعمائر والكنائس لا سيما دير مار عبد الاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس أُخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمَّى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوَّق لي بها قرمزًا لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقاً فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغهِ يستخرجونهُ ويضعونهُ في فرن حامٍ فييبس وينطفئ . وبعد ذلك ييبسونهُ

ومن بعد خمسة عشر يوماً خرجت من هذا البلد قاصداً ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ايتا ومن ايتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتبك خمسة فراسخ ثمَّ الى قرية صان انطون فرسخان ثم الى قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية تبياكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة

(La Puebla de los Angelos) ستة فراسخ فجزتُ الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنيَّة بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدًّا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمَّى دون عمانوييل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله ولهُ معبور في كل سنــة ثمانون الف غرش . وايضاً في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان

٤٩ وصف مكسيكو

ثم بعد يومين خرجت متوجهاً الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخاً فوصلتُ اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب لــهُ من بلد واتيامالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعتُ مريضاً وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت لهُ مكتوباً من قريبهِ الوزير صاحبي الذي كان في البيروه . فبقي يرسل الي حكماءهُ ليشرفوا عليَّ . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني ببجة ووجه بشوش وعرض عليَّ الوزير ان اسكن عندهُ في السرايا فاستكثرت بخيرهِ وشكرت فضلهُ على ذلك وما اردت انزل عندهُ بل استكريت لي بيتاً بثلاثمائة وستين غرشاً في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشاً ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت اوَّلًا مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان . فالمطران اعطاني دستوراً ان اقدّس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليــلة وقت المغرب كنت اروح القش (التحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واماً هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعــة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطرًا زائدًا فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلأَت ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبد الاحد وديرين لرهبان اليسوعيَّة وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرًا للراهبات وديرًا للرهبــان الكرملتانيين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس أُخر عديدة

٥٠ كنيسة العذراء العجائبية

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمَّى وادالوبي (Guadeloupe) . وذكروا لنا انهُ بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمَّى خوان ديكو دائرًا خارج البلد اذ ظهرت له امرأة جليلة بهيَّة في غاية الجمال وقالت لهُ اذهب الى مطران البلد وقل لـهُ ان يبني لي بيتًا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلًا مثل ما رسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت بهِ . فلمَّا تأمل المطران في هذا الهندي وفي حالتهِ الزريَّة وثيابهِ الحقيرة امر بطردهِ فرجع هذا المسكين خائبًا ومطرودًا الى المكان الذي تكلمت معهُ تلك السيدة الجليلة . فظهرت لهُ مرَّة ثانية في المكان المذكور وقالت لهُ كقولها الاوَّل ان يرجع الى المطران ويقول لهُ كما امرتهُ . فاطاع امرها وراح ثانية عند المطران وعرض عليهِ كل ما امرتهُ تلك الست فاحتقرهُ ايضًا المطران وامر بتهجيجهِ وطرده فرجع محزونًا ومطرودًا الى ذلك المكان . فظهرت لهُ الست ثالث مرَّة وقالت لهُ : لماذا لم تعمل الذي امرتك بهِ . فاجابها قائلًا : ياستي قد عملت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليهِ كل ما امرتني لكن هججني وما صدقني . فقالت لهُ : امضِ اليهِ ثالث مرَّة وقل لهُ كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذهُ معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولتهُ الورد وكان غير اوانهِ . فاخذ ذلك الهندي الورد وجعلهُ في الرداء الذي كان ملتحفًا بهِ وقصد بيت المطران فلمَّا نظرهُ الخدَّام وعرفوهُ هججوهُ وطردوهُ . فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها لهُ . فاعلموا المطران بذلك فامر بدخوله فلمَّا وقف بين يديهِ قال لهُ : ياسيدي الست ارسلتني اليك ثلاث مرَّات وتقول لك ان تبني لها بيتًا في المكان الفلاني وها قد ارسلت لك هذا الورد حتى تصدّق قولي وتتيقَّن انها هي ارسلتني اليك . فلمَّا رمى الهندي الورد من ردائهِ ونظر المطران لهذا العجب لانهُ ما كان زمان الورد وزاد عجبهُ اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذٍ جثا المطران على ركبتيهِ امام هذا الهندي وطلب منهُ الغفران وعاجلًا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائهِ ثم شلحهُ المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعهُ في المذبح الكبير بفرحٍ وعيدٍ عظيم

وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيهِ للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنيَّة جداً بالفضة والذهب والبدلات المثمَّنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوهُ من فضة والعواميد التي على المذبح ايضاً من فضة فمن حدّ هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ان تلك الارض في ايام الصيف لمَّا تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الَّا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا

٥١ هجوم الهراطقة على اسكلة ويراكروس

وانا فبقيت مرتاحاً في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسهُ انهُ قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفاً في قلوب كثيرين من المذنبين . امَّا الوزير فانهُ لمَّا سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معهُ فما اراد ان يظهر اوامرهُ فعلم الوزير انهُ كاذب محتال فارسل خلفهُ جنوداً ليحوشوه فوجدوهُ وامر الوزير بحبسهِ . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيداً عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوهُ . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالًا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراساً على الابواب وابتدأوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهيبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيداً نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المراكب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء نحو فرسخ وانزلوهم هناك وقالوا لهم امَّا ان تعتقوا ارواحكم او نقتلكم جميعاً . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هولاء المساكين من جانبهم الى مدينة

البويلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فأعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوهُ من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هولاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي لهُ رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضهُ رئيساً على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريتهُ من واخاكا بالف غرش فنهبوهُ من جملة الاموال . وبينما هولاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء ارسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء اولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنيرال بيرقاً ليجمع عندهُ روساء كل المراكب ويعملوا ديواناً ويحطوا خطوط اياديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنباً وحدهُ لان مراكبهُ كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق لهُ مركب او يحترق في المحاربة . فلمَّا ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعهُ وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعد ما اخذ معهُ ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحيَّة

٥٢ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فرأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدَّة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردُّوهم من الوثنيَّة الى ايمان المسيح (١

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد

---

١) لم يصب مؤرخنا المرمى في تعيينهِ لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لوبس دى فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملَّك عليها الاسبانيول الَّا في سنة ١٥٦٠–١٥٧٠ وقد عُرفت مذ ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية

الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية اشهر لكنهُ في العودة يرجع بثلاثة اشهر (١ وايضاً كل سنــة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط (٢ الى تجار ارمن يسمون جلفاليه (٣ ساكنين في هذه الجزيرة — وهم اثنان — يأخذون مال هذا المركب ويدينونهُ للسبنيولية لوعدة سنة · ففي كمال السنــة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاوَّل ويعطونهم ايضاً لمثــل هذه الوعدة الرزق الجديد · ولا يُعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفاليه فقط · وكان لي نيَّة ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك

---

١) لمَّا توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهنـد وجزائر الفيلبين الخ) اراد التجار في كل من مدن مانيــلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معاً بطريق البحر تسهيلًا للمواصلات التجارية وتقريباً للمسافات الشاسعـة. فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي مــا امتازت بهِ من المحصولات والفضة والذهب نقوداً وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصاغات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف جوز · اما مدَّة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط اذار متتبعاً الارياح الموسميَّة المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقــل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهراً فارشدهم احد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر ك ١ و ك ٢ فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك

٢) نظنهُ يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاهُ ابن بطوطة كنبايَت وقد وصف مدينةً بهــذا الاسم وذكر سعة تجارتها. اما سورط او سورات فهي مدينة حديثة لم يكد ياتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث اصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولنديـة فروعاً مهمة وكان فيها رسالات دينيَّة لليسوعيين وغيرهم

٣) يريد على زعمنا النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اسبهان بناه شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جافا وما لبث ان اصبحت مدينة مهمة امتدت الكثالكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين فاتت باثمار خلاصيَّة ذكرنا شيئاً منهــا في الجزء الاول الصفحة ٨٢–٩٢ من مجموعتنا المعنونة Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. Prix 6 f. (Picard à Paris, Luzac à Londres, Harrassowitz à Leipzig) 1905

اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي (١ لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهباً ليحكم في تلك الجزيرة (٢ فطلب مني ان ادينهُ عشرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانهُ مديون وعليهِ مائتا الف غرش ديناً . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية

٥٣ اخبار الصين والفيلبين

وذكروا لنا ان من مدَّة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعوهم من الكفر الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهـم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيلبيناس (Philippines) فلمَّا نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهـم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فما لهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فعبروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدَّس وخرجوا بالزياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوَّة الله وعدالتهِ التي لا تتخلى عن القاصدين اليهِ بامانة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملهـا وحطمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركباً . فلمَّا سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابهُ حزن حزناً عظيماً ومن حزنهِ هلك عاجلاً واوصى ابنـهُ الكبير المتولى الحكم بعدهُ ان يهيئ عسكراً آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلمَّا اهتم ابنهُ المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضاً ما عرض لوالدهِ ومات فقعان لحزنهِ . فخلفهُ اخوهُ الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيئ عساكر ومراكب فاشارت عليهِ والدتهُ ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري لـهُ ما جرى لابيهِ واخيهِ بل الافضل ان يصالحهم

---

١) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد عن طريق العجم متتابعة كما جـاء مراراً في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا ويا ليت رحالتنا عاد الى بلادهِ عن طريق الفيلبين والهند والعجم لكانت سفرتهُ غريبة لم يسبقهُ احد اليها

٢) الفيلبين جزائر لا جزيرة واحدة

ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه. والآن في كل ثلاث سنين يجيءُ رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلمَّا جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكى لي جميع هذه الامور والمعاجز التي صارت في فيلبيناس . وهذا الرجل صادقٌ بقولهِ وايضاً شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتاً صادقاً واضحاً تلك المصيبة (١

٥٤ جزائر ماريان

ومن مدَّة خمسين سنة اكتشف ايضاً السبنيولية على جزيرة قريبة من فيلبيناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدو الاصنام فلمَّا ملكوها نصَّروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امرأة الملك فيلبه الرابع (Philippe IV) وام هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie-Anne d'Au-triche) التي هي اخت الامپارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايزلا ده مارياناس (Mariannes) . ولمَّا كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيلبيناس وجاء معهُ راهبان من رهبان مار عبد الاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهولاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانيــة في مركب واحد حينئذٍ اروني العرض حالات حتى اعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعهــا قضاة فيلبيناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم مع الرهبان اليسوعيَّة وطلب منهم العشور فما اطاعوهُ ولا ارادوا يؤدوالهُ ذلك (٢ فبسبب هذا احشوا عليهِ (كذا) قضاة البلد

---

١) لا ندري كيف لخص مؤلفنــا هذه الاخبار ونظنهُ خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان

٢) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيراً غيرهــم من الرهبان معفون من اداء العشور لروساء الابرشيات على اننا قلّبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنــا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا باربعين سنة فطلب العشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . امَّا بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينوجولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ الخ) والثاني بينهم وبين ارنان غريرو مطران مانيلا في الفيليبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذُكر

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخاً . وهذا المطران كان راهباً من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعهُ القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيلبيناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم

٥٥ الرجوع الى اوروبة

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخاً . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان ياخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكرون الاوضه ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلماَّ رايتهُ طلب الف غرش صعب عليَّ لكن غصباً عني رضيت . فمن بعد ثمانيــة ايام اجتمع روءساء المراكب وعملوا ديواناً ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى اسبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الَّا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركباً صغيراً مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوهُ قبلهم سبقاً الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارَّة وماءها عاطل وهواها اتعس . حينئذٍ استهمَّيت وركبتُ في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوهُ الى اسبانية قاصداً السفر معهُ الى جزيرة تسمَّى لاوانا (La Havana) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي دنيا التي يقال لها الفلوتا (flotte) فحصــل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار عليَّ ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفَّاح لاجل ارمغانات (١ فاشتريت وعملت بشورهِ

في تاريخه انهُ دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليهِ من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220) وكريتينوجولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ الخ)

١) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسيَّة الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوماً وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدمت لهُ البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذناب الفار واذا تركوهُ حتى يكبر يتخ وييبس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيّب واناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش (١ عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات (٢ المربى وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشاً وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوماً وتشتتت المراكب على وجهِ البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوماً المذكورة سهّل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضاً حتى لا يقربوا كثيراً الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذٍ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس (Cadix) . فمن بعد اثني عشر يوماً كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدةً جداً حتى في نصف النهار

٥٦ من اسبانية الى رومية

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي لملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضاً مراكب الحرب التي لملك اسبانية راسية قبالهم . فلمّا دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردّت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهمْ مثل الضباب فدخلنا الميناء

---

١) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالتهِ واراد بها البخشيش الشهير في بلادنا . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر

٢) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيهِ الحلاويات والعقاقير وغيرها

ورسينا . فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك وطالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوهـا ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) لاخلِّص الفي غرش من قبطان مركب كان تديَّنها مني ليشتري عازة مركبهِ . فلما وصل الى كادس يسَّقوا على المركب واخذوه لان كان عليهِ دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادَّعيتُ فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانهُ لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياهـا ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درَّات وهي الطيور التي تسمَّى في لسان الفرنجي پاپاكاي (ببغاء) (Perroquet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضاً قنديل فضـة يساوي الف واربعمائة وخمسين غرشاً وصنعتهُ غريبة فقدمتهُ الى سيدنا البابا والى كنيسـة المجمع فلما رآهُ الكردينالية فرحوا فرحاً عظيماً بلطافة صياغتهِ . وفي ذلك الحين انعم عليَّ سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقاً لها . والحمد لله الى الابد امين

هنا تنتهي رحلة الخوري الياس الموصلي وهي الصفحـة المائة من كتابه ويليهِ ١١٢ صفحة وصف فيها المؤلف اخبار الامم التي كانت تقيم في تلك الاقطار قبل دخول الاوربيين اليها وتاريخ كشف البيروه وما جرى بين المواطنـين والفاتحين من الحروب والمناوشات . وقد اعتمد المؤلف على عدد من المؤرخين الاسبانيين ذكر اسماءهم في تضاعيف كلامـهِ اخصهم كارسيا (Grég. Garcia : *Orig. de las Indias*) واكوستـا (Jér. d'Acosta : *Hist. Gén. des Indes*) وكارسيلاسو (Garcilasso) وغيرهم مثل سالاصار وانطون ده ادبرا وديكو ده البارى ورودريكو لوصا واندراوس ده لارا وهوكو كارون . وقد قابلنا بين نصهِ وبين بعض نصوص المؤرخين المشار اليهم فوجدناهُ قد اجتهد في فهم معناها واداتهِ لكنهُ لم يدرك كيف يلخصها تلخيصاً يلذ المطالع ضاماً المعاني بعضها الى بعضٍ منتقداً الاخبار غثها من سمينها . وقد اخترنا ممّاً ذكر شذرة عن بدرو ده كاندي (Pedro de Candie) او الاقريطشي احد فاتحي البيروه وقد ورد مراراً ذكرهُ في تاريخ الفتح واثنى الكتبـة والمورخون على تدينهِ وشهامتهِ وذهب الكاتب انهُ رومي الاصل اعتماداً على اسمهِ فاذا صح هذا المدَّعى كان لاحد ابنـاء الشرق نصيب في كشف البيروه وفتحها وهو شرف جدير بالذكر

بدرو الاقريطشي احد فاتحي البيرو

اكتشاف البيرو · بيزارو (Pizaro) ورفقاؤهُ الثلاثة عشر ·
بدرو الاقريطشي (Pedro di Candia)

كان فرنسيسكو بيزارو من اوَّل فتاح امركة اتخذ لهُ رفقة ولكنهم لمَّا رأوا اتعاب السفر والحروب مع الهنود والجوع والعطش ··· لم يرضوا متابعة السير فسحب بيزارو سيفهُ وخطَّ على الارض خطاً وقال: كل من يريد ان يرجع الى باناما فليتجاوز هذا الخط حتى يعلم من هو شجيع بينهم فما بقي معهُ غير ثلاثة عشر نفراً ··· فسافر هؤلاء في البحر وبلغوا الى مكان يسمَّى كركونا (Gorgone) اي دوَّار الماء في البحر فبقوا هناك زماناً بالصبر على الشدائد والجوع والعُري وكثرة الامراض وظهرت رجوليتهم وحفظوا عبادة الله مثل ما يجب للنصارى الكاملين مجتهدين بالصلوات للعذراء القديسة في مسبحة الوردية مرتلين وممجدين اسم الخالق وكفُّوا عن الحلفان والتقمقم ··· فصار هولاء الثلاثة عشر سبباً لاستدعاء الكفرة التائهين في الظلمات وعتمة عبادة الاوثان الى طريق الخلاص ··· وقواهم الله في الخروج من كركونا ·· ثم وصلوا الى ارض تدعى كاپولانا (Capullana) فعلم بيزارو ان في تلك الارض يوجد ست حاكمة في تلك النواحي وهي كريمة وسخيَّة في العطاء فرسم بيزارو ان يروح نيكولاوس اريوويره (Nicolas de Ribera) الشيخ لانهُ رجل منوَّر وصاحب اقبال مع رفيقين معهُ عند هذه الست فراحوا وطلبوا منها المساعدة في النصر فاجابتهم: اعطيكم ما تحتازون من اكل وشرب لكن لا أُهبكم عساكر · فاخذوا لهم زواده وركبوا مركبهم وسافروا الى ميناء القديسة هيلانة المذكورة سابقاً ··· ومن هناك بلغوا جزيرة بونا (Puna) ··· فخافوا ان يصير لهم ضرر فتركوها ونزلوا قرب البر وشعب تونبز (Tumbez) ناظر اليهم ··· (١ فلما نظروا الخلق الذين يتفرَّجون

---

١) كل هذه الاخبار تتبعناها على كتاب رحلة بيزارو سنة ١٥٢٦ فلم يخطئ الكاتب في نقلها . (اطلب تاريخ الاسفار المجلد ١٣ الصفحة ٤٢ الخ) وقد اكتفينا هنا بالمهم منها

عليهم ازيد من اربعين الف نفس افتكر هولاء الثلاثة عشر نفرًا ان يجربوا بختهم ويرسلوا لهم رسولًا يطلب منهم اكلًا وشربًا بالمحبة من غير قتال . فاختاروا واحدًا من بينهم كان يدعى اسمهُ بطرس وهو من طائفة الروم اصلًا من قريطش (١ فهجم وحدهُ باتكال على غيرة النصرانيّة لابسًا الزردية وحاملًا الخنجر والسيف والبندقية واختار لهُ من السلاحات الروحيَّة لانهُ كان ماسكًا بيدهِ صليبًا طويلًا طولهُ ذراع وكان المذكور جسيمًا فاراد يجرّب بختهُ متكلًا على قوَّة الصليب المقدَّس فلما نظرهُ الهنود تعجبوا من شكلهِ ونظروا وتأملوا فيهِ كشيء الاهي لكنهم تشاوروا ان يفلتوا عليهِ سبعًا ونمرًا محفوظين هناك للملك واينا كاباك (Guaynacapac) . فاما بطرس القريطشي فلما شاف تلك الحيوانات طلب المعونة من السماء والنصر من الصليب المقدَّس ففي الحال اقتربت منهُ الحيوانات بوداعة من غير تشوّش ولا افتراس وحصلت قدامهُ عند رجليهِ فلاطفها كالخرفان الحليمة ومدّ يدهُ الى رؤوسها مملسًا لها ووضع الصليب على جبهاتها فصار هذا بتوفيق واعجوبة قوَّة الصليب المقدَّس المنجي عابديه من الاعداء المنظورين والغير منظورين . فلما نظر الهنود تلك الاعجوبة تيقنوا ان بطرس القريطشي هو ابن الشمس او انهُ نزل من السماء فهكذا قبلوهُ وادخلوه الى هيكل الشمس الذي بناهُ الملك واينا كاباك جنب قلعة تونبيز حيث كان في تلك البلدة معلمون صيّاغ كثيرون وحيطان الهيكل مغطاة بصفائح الفضة من غير الكنوز التي جعلها الملك اوقافًا لذلك الهيكل وايضًا بهائم وطيور وحيتان من جميع الاجناس مصاغة سكب من فضة وذهب وايضًا بساتين باشجار واثمارها مصنوعة من فضة وذهب . ومن بعد ما اكرم الهنود بطرس المذكور وتفرَّج على جميع ذلك المال رجع الى المركب وحكى لرفقائه الاثني عشر عما نظر من الغنى الغزير قدرهُ وبما صار من الاعجوبة مع الوحوش بقوَّة الصليب المقدَّس فمن تلك الساعة اتخذ لهُ عوض السلاح صليبًا لان هو الذي خلصهُ من تلك الافات الوحشيَّة . واتّفق بيزارو معهم على ان اثنين من العسكر يبقيان في تونبيز ليتعلما اللسان الهندي ويفهما احوال وقواعد هذه البلاد وهو بيزارو مع العشرة انفار يرجعون الى باناما حتى يجمعوا عساكر . . .

---

١) اقريطش جزيرة معروفة في بحر وتدعى ايضًا كنديه (Candie) والظاهر ان بطرس كان منها

الآثار النصرانية

في امركة المتوسطة والجنوبية

هذه نبذة ثانية ننقلها عن كتاب رحلة الخوري الياس الموصلي الى امركة من قسمها التاريخي الذي لم ننشرهُ موضوعها التقاليد القديمة التي لقيها الاسبانيون لدى وصولهم الى امركة المتوسطة والجنوبية من صلبان وآثار وعاديات واخبار غريبة في بابها تذكر كلها ان رجلًا عظيمًا زارهم في الاجيال السالفة وعلمهم وتنبأ لهم بما سيكون. وقد قلّبنا الرحلات والتواريخ ورسائل المرسلين فرأينا من هذه التقاليد والعوائد شيئًا كثيرًا يكاد ان يثبّت رأي من قال ان النصرانيّة اتصلت الى تلك الاصقاع وتركت آثارًا لا تنكر وإن صعب تعليل مصادرها وازمنتها. على ان كاتبنا ذهب – وذهب قبلهُ وبعدهُ كثير من الكتبة – الى ان القديس توما الرسول بشّر بالانجيل الطاهر في امركة الجنوبية ونصّر عددًا من سكانها. لكن الايام طفت على ما بذرهُ من تعاليم الخلاص فابيستها وابادتها. ذلك امر لا ننكر احتمالهُ لكننا لا نجزم بحقيقتهِ لضعف البراهين واحتمالها وامكان تأويلها بزيارة مرسل او كاهن زارهم عمدًا او قذفتهُ اليهم العواصف في اجيال قريبة من اجيالهم. وقد لمح العلماء البولنديون الى هذا الراي ووصفوهُ بقولهم «ان ما يذكر عن اخبار امركة القديمة في هذا الشان اقرب الى الغرابة منهُ الى الصدق»: (Acta Sanctorum, vol. IV Jul., p. 15: Curiosa magis quam certa proponunt) ومن ثمَّ ننشر هذا الفصل تاركين العهدة على كاتبهِ

الفصل الحادي عشر

يشتمل على اخبار تلميذ المسيح مار توما الرسول وتلاميذه الذين دخلوا الى بلاد الهند الغربيَّة

نقول ان في تواريخ فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد وضابطها يذكر انهُ كان تصاحب مع هنود من اهلها عتيقي السنين والايام فاعلموه بالعجيبة التي كان اجدادهم وسلفاؤهم يحكونها لهم. وهو انهُ كان جاءهم رجلان احدهم اشقر طويل والاخر مربوع القامة وكانت وجوههم تلمع كالشمس وكانوا يكرزون وبايديهم عكاكيز قالوا: «والى الآن موضعهم عندنا معلوم وهو يبعد عن ليما خمسة عشر فرسخًا».

فلما سمع بيزارو بهذا الخبر اخذ الشيوخ المذكورين معه وراح ليرى تلك الارض. فاراه الهنود العلامة والحجر التي كان يقف فوقها التلميذ ويكرز. وكانت ارتسمت قدمـاه مطبوعةً في تلك الحجر وانا الفقير رايتها بعيني. وفي جانب هذه الصخرة

مكتوب باحرف هكذا (١ . . . وهـذه الاحرف مع الحجر ايضاً هي مصورة في كتاب المورخ وهذه هي (٢ . فانا نسخت هذه من كتاب بيزارو المثبت من باقي المورخين بان الهندي قال لبيزارو : ما نعرف ايش مكتوب على هذه الحجر لانّا نحن ما لنا حرف ولا نعرف الكتابة ولا القراءة . فلما راح بيزارو الى ذلك الجبل تحقق كلام الهنود ونظر هذه العلامـات المرسومة في الصخرة اي اثر قدم التلميذ والاحرف لكنهُ ما قدر يقرأها فنسخ منهـا الممكن نسخهُ لان الاحرف قد سافت من كثرة الايام

وبعد ذلك جاء اسقف الى بلد كيتو وقدّس يوماً قدّاساً كبيراً بالتاج والعكاز كالعادة المختصة بالاساقفة والمطارنة فلما رآه الهنود بذلك الطقس والقسقال (٣ سالوا قسوس الاسقف مستخبرين ان كان هذا هو تلميذ (٤ لان لباسهُ كلباس التلاميذ المصورين عندنا في مساجدنا على الحجر والطقس مثل هذا الطقس واللبس كهذا اللبس بعينهِ وايضاً هكذا كان يقدس هذا التلميذ الذي كان يسمى توماز الذي حكى لنا اجدادنا عنه بانهُ كان في هذه البلاد وبعد ذلك ارتحل من عندنا متوجهاً الى الشرق وما عاد رجع لكن نياشينهُ بقيت عندنا

وايضاً يشهد المؤرخ كومارا (Gomara) و كرسلاسو (Garcilasso) في تواريخهما بان هذا كان القديس مار توما . لان الروح القدس كان يرفعهُ وينقلهُ من موضع الى موضع والى اي مكان كان يقصد وراح الى بلاد هنـد الشرق في بلد تسمى كرامينا (Caramine) ومالابار (Malabar) . ويومئذٍ يسمونها ميلابور في هند الشرق مثلما قال القديس كريسوستيموس (فم الذهب) وسفرونيوس والقـديس جيرونيموس : ان مار توما الرسول عمد ثلاثة ملوك وهم الملوك الذين ذكرهم في كتابهِ المعلم قيصر بارونيوس قائلاً انهم كانوا حاضرين لاستماع كرز مار تومـا وكانوا من الكلدانيين مثلما اثبت ذلك المؤرخ كلوديانوس في كتاب تواريخ الشرق في زمان الملك اسكندر بن فيلبس المكشيدوني

---

١) و ٢) بياض في الاصل

٣) القسقال لعلهُ اراد صلوات الفرض المعروفة بكلمة ܩܘܩܠܐ

٤) يريد بالتلميذ الرسول

ويلي هذا الفصل خبر تنصُّر احد ملوك الوطنيين في بلاد البيروه سنة ١٥٦٣ ثمَّ عاد الكاتب الى روايتهِ في آثار النصرانية القديمة قائلًا :

ولنرجع في قولنا الى تلك الصخرة التي كان يكرز عليها التلميذ كما ذكرنا سابقًا ونياشينها مفاتيح حديد ومرساة المركب . فالهنود ما كانوا يعرفون ايش هي المفاتيح ولا مرساة المركب ولا الاحرف . فلمَّا دخل السبنيولية الى هذه البلاد ووضعوا ابوابًا بمفاتيح حديد ورأى الهنود مرساة المركب واحرف الكتابة فهموا النياشين . وذلك ان التلميذ ما قدر يرجعهم الى ايمان المسيح فترك عندهم مفاتيح مار بطرس علامةً ودليلًا بمجيء النصارى حتى يبشروهم بايمان المسيح . وكان الهنود يعبدون تلك الصخرة فجاء وكيل مطران ليما وخرب الاحرف التي كانت حولها . وكان عند راس الصخرة صليب وهي يومئذٍ في جانب النهر المسمَّى كالانكو . فلما راح الوزير برنجي اسكيلاج (اي الصدر الاعظم القديم) ومطران ليما الذي اسمهُ توبي والخوري ارناندو معلم اللاهوت وبعض معلمين حققوا وثبتوا بشهود وعدد من مشايخ الهنود ومن جميع تلك التخوم . وكان الهنود يسمونها صخرة التلميذ مثلما اخبرهم اجدادهم . والى الآن يسمونها هكذا

ثم اخبروا الوزير بان في قرية اخرى تسمى كولاناده لاميا من تخوم كاخاتامبو (Caxa-Tambo) التي تبعد تسعة ايام من بلد ليما توجد صخرة اخرى طُبع عليها قدمان وعكازة وهذه الصخرة تسمَّى « في كولا » ولها وارث قد استورثها من اجدادهِ فقال الهنود: ان اجدادنا كانوا يسمونها صخرة التلميذ ونحن الى هذا الحين نسميها هكذا . والذين كانوا يقفون على هذه الصخرة كانوا شخصين

وبعد ان مات مطران ليما وجاء مطران آخر عوضهُ اسمه توريبو ماكرو (Turibo Magro) الذي قوننته الكنيسة قديسًا وجعل يزور كنائس مطرنتهِ وابرشيته كعادة المطارنة والاساقفة حينئذٍ اعلموه عن صخرة اخرى في بلاد چاچاپويس في قرية تسمَّى كوليناب . وكان الهنود يوقرونها اعظم التوقير . فسألهم عن ذلك فقالوا لهُ اننا سمعنا من اجدادنا ان هذه الصخرة من قديم الزمان كان رجلان احدهما اشقر لحيانيّ وكان يقف على هذه الصخرة ويكرز . ولما كان يصلي كان يبرك على ركبتيهِ ويشبح ذراعيهِ وعيناه شاخصتان الى السماء وفي مسجدنا العظيم صور اجدادنا من حجر تراهم يشهدون بذلك . فلما سمع المطران ذلك القول

جثا على ركبتيهِ يزحف زحفاً وقدم الى موضع اقدام التلميذ وقبلها ومرَّغ وجههُ عليها ومن بعدهِ الكهنة وباقي الشعب فعلوا ذلك باحترام عظيم . ثم امر المطران بعمارة كنيسة فوق تلك الصخرة ورسمها وجعل اسمها كنيسة التلميذ الى يومنا هذا

وايضاً في زمان فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد والاقليم الرابع اعني البيروه في سنة ١٥٣٧ كان ارسل الملك معلماً كاتبهُ اسمهُ دون اوغسطين ده صاراتي (Augustin de Zarate) حتى يكتب ويحرر مدخول المملكة في كل بلاد البيروه فهذا يذكر في تواريخهِ انهُ لما كان في تخوم كيتو دخل يوماً الى بيت الاصنام فوجد في هذا البيت مصوراً على حجر تاج اسقف وعكازاً وبدلة القداس . فسأل الهنود عن هذه النياشين فقالوا لهُ ان من قديم اجدادهم كان اتاهم رجل اشقر يسمَّى تلميذاً وكان رجلاً حكيماً . ويوجد على هذا الجبل علامة موضع رجليهِ وعكازتهِ وكتابة باحرف لا نعرف ايش تأويلها . فهذا المذكور اوغسطين ده صاراتي يقول في تاريخهِ انهُ هو بعينهِ شاهد ذلك في بيت مسجد الاصنام في تخوم كيتو

وألحق المؤلف هذا باخبار مملكة البيروه قبل دخول الاسبانيين اليها ووصف عاداتهم في دينهم ودنياهم الى ان قال :

وفي جزيرة تسمَّى كومانا قريبة لارض البيروه يذكر المؤرخ كومارا بانَّ في بيوت الاهاتهم كانوا يعبدون صليباً بين الاصنام فقالوا : هذا الصليب عندنا موقَّر ونخزي بهِ كلَّ الاعداء المنظورين والغير منظورين لما يظهرون لنا في الليل واذا عرض للاطفال شيء من ذلك نضع عليهم الصليب فيبرأون . وهولاء الهنود ما كانوا يعرفون ايش هي خاصيَّة الصليب لانهم كانوا قد نسوا تعليم الرسل وكان الشيطان يشغلهم بالملاهي الدنيويَّة واللذات الجسدية

وايضاً في جزيرة كوذميل (Cozumel) قرب بلاد ينكي دنيا يقول المعلم الكبير كومارا والراهب مبارك من طائفة مار اوغسطينوس لما دخل المركيز كورتين فاتح تلك البلاد الى هذه الجزيرة رأى حوشاً واسعاً محاطاً بكلس وفي نصف ذلك الحوش صليباً منصوباً طولهُ عشرة اشبار كانوا يعبدونهُ قائلين : هذا نيشان اله الطوفان واذا انحبس المطر كانوا يجتمعون حولهُ ويعملون لهُ زياحاً وطلبة طالبين المطر ففي الحال كان يمطر عليهم . وهذه الجزيرة كانت مثل القدس للهنود وقد حفظوا تذكار

التلميذ الذي بشَّرهم وكرَّموا الصلبان لانهم قشعوا عجائبها ومنافعها لان التلميذ كان يعلـم بالهام الروح القدس ان بعد ايام وزمان سيدخل المسيحيون الى هذه الاراضي فلاجل ذلك السبب وضع هذه النياشين كعلامة

يذكر ايضاً المؤرخ انهُ كان في تلك الجزيرة هندي يدَّعي النبوَّة اسمهُ جيلانكاكاس (Chilon-Combal) وكان قد تنبأ عليهم أنْ عن قريب ياتيكم اناس لحيانيون بيض فاقبلوهم بصلح وسلام وهم اصحاب هذا الصليب الذي تركهُ لنا التلميذ توما واسمهُ مكتوب ايضاً على صخرة في بلدة تسمَّى جونتالس. وهذا الصليب اخذهُ مرَّة الكفرة ورموه في النار مدهوناً بالزفت والقطران حتى يحترق فبقيت النـار تشتعل ثلاثة ايام وما احترق. فلما عاينوا هذه العجيبة آمنوا بـهِ وحفظوهُ عندهم الى حينما دخل السبنيولية الى بلادهم . فلما سمع اسقف واخاكا بتلك العجيبـة ارسل قسوساً ليحضروه الى الكنيسـة فصعب على الهنود اخذهُ وتمرمروا قائلين : هذه ذخيرة اجدادنا فكيف انتم تاخذونهُ من عندنا . فجعل لهم الاسقف صليباً عوضاً عنهُ ووضع الصليب العجيب في كنيسة بلد واخاكا (١ . وانا الفقير قد رأيتهُ بعيني

وقال الراهب المعلم غريغوريوس كارسيا في تاريخهِ . لمَّا فُتحت هذه البلاد حكى لهُ الهنود عن هذا الصليب بما كانوا سمعوا من اجدادهم السالفين بان هذا الصليب كان حاملهُ التلميذ توما وماشياً على البحر برجليهِ كما نمشي على الارض

وفي بلد جيابا وجدوا في يد احد اكابر الهنود كتاباً استورثهُ من اجدادهِ فيـهِ صورة الخليقة والثالوث الاقدس والعذراء في ثياب من زي نساء الهنود فجمع اسقف هذه البلد برتلماوس دي لاس كازاس مجمعاً من الهنود ليتحقق منهم اثبات القول عن مار توما الرسول فقالوا لـهُ : جاء عندنا رجل طويل القامة لهُ دقن وكان لابساً عليهِ تونيكا اعني قميصاً طويلًا الى الكعب وفي رجليهِ چاروخ (٢ وملفحاً بازار وشعر راسه طويل . هذا الذي حكاهُ لنا اجدادنا

وفي سنة ١٥٥٣ يذكر المعلم الراهب بادره اندراوس ده لارا رئيس رهبان طائفة المرسي اعني ستنا مريم الوهيبه كان في بلاد چيلي (Chili) ودخل الى بلدة كانت

---

١) اطلب هذه الاخبار في كتاب رحلة غريجالفا (Grijalva) سنة ١٥١٧ (تاريخ الاسفار المجلد ١٢ الصفحة ٢٤٥ الخ)

٢) الچاروخ فارسية النعل الغليظ

للهنود تسمّى اليوم صانتيا كو ده چيلي فحكى لهُ مشايخ الهنود بانـهُ من قديم جاء الى اجدادنا رجل طويل اشقراني لهُ دقن وشعر راسهُ طويل وكان اسمهُ توما واليوم عندنا واحد من الاكابر اسمهُ توما وكل عيلتهِ يدعون بهذا اللقب من زمان مار توما ويومئذٍ يسمونهُ بارون توما · وأروهُ الصخرة التي كان يقف عليهـا يكرز وقد انطبعت علامة دوسات رجليهِ في الصخرة

ويذكر المؤرخ صاروسانوا قائلًا : لما كسبوا هذه البلاد رموا قرعـة على الاراضي ليتقاسموها فطلع لقبطان اسمهُ خوان ده بورسيل باريليا في القرعة عقبة · وكانت هذه العقبة لاحد الهنود العاصين فعمّر هناك برجًا وامر ان يقطعوا كل الاشجار والحرش الذي في تلك العقبة · فوجدوا مغارة ودخلوا اليها فرأوا صليبًا طولـهُ ستة اذرع وليس قوي غليظ واقفًا على ثلاث صخرات صغيرة ومغروسة بهِ ثلاثة مسامير من خشب بصناعة لطيفة ويقولون ان هذا الصليب عمل يد الرسول مار توما فلما رأى الرجال ذلك غشي عليهم بغتة وقالوا ان هـذا نزل من السماء فاجتمع الهنود وحملوا الصليب على اكتافهم وعلقوهُ في موضع عالٍ في تلك الارض وزينوه بالزهر واغصان النخل · فلمّا جاء القبطان المذكور وسمع ذلك اخبر حاكم تلك النواحي فقام الحاكم مسرعًا واتى مع جمهور وخلائق وحقق ودقق من الهنود ومن كتب ملكهم فاوقفوه على جميع ما حكى لهم اجدادهم من الزمان القديم · حينئذٍ صعد الخلائق قاصدين المغارة ببكاء ونحيب فوجدوا في المغارة صخرة طويلة ممتدّة على الارض طولها ثلاثة اذرع ومطبوع على تلك الصخرة نصف جسد التلميذ اي جانبهُ الواحد لانها كانت فراشًا لهُ · حينئذٍ فرحوا فرحًا عظيمًا شاكرين انعـام السيد المسيح الذي اظهر لهم ذخيرة تلميذه ورسوله توما · حينئذٍ اخذوا الصليب ونقلوهُ الى البلد ووضعوهُ على امرأة كانت في المنازعة ففي الحال شفيت من مرضها · وثاني يوم صار مخاصمة بين اثنين من الجنود فالواحد ضرب رفيقهُ ثلاثـة خناجر قاتوليّات فطرحهُ على الارض ميتًا فاسرع الناس عاجلًا الى الصليب ونحتوا منهُ قليلًا وسقوا منـهُ ذلك القتيل · فللحال نهض فاتحًا عينيهِ ومتكلمًا وثاني يوم خرج طيبًا سليمًا وعلامة الخناجر بقيت في جسمهِ · وايضًا في تلك الايام صار عليهـم مطر عظيم ثلاثة ايام مع ثلاث ليالٍ حتى من عظم ذلك السيل الزخم طافت الانهر والاودية واخذت اشجار الصنوبر من الجبال ونزلت بها منحدرةً الى قلعة البلد

فلما نظروا ذلك خافوا وارتعدوا لئلا يكون طوفان ثانٍ. فاجتمعوا واخرجوا ذلك الصليب بزياح وامانة كاملة فللوقت رجعت المياه وتصرّفت فتمّت تلك الاشجار والخشب راسخة على الارض حينئذٍ اخذوا تلك الاشجار والخشب الصنوبر وعمروا بها كنيسة على اسم صليب ذلك التلميذ السعيد مار توما الرسول

وايضاً في بلد قريبة من مدينة الكوشكو التي كانت تحت ملك الهند وجدوا في مكتبخانة الملك مؤرخاً اخبار مثبوتة من كتبة ملوك الهنود القدماء الذين كانوا يكتبون الاخبار والاحوال بتصاوير ونياشين لان لم يكن لهم حرف. والمعلم كوسطا (Acosta) يذكر في تواريخهِ على الهند عن مار توما والبادره غريغورس كارسيا يذكر عن الدنيا الجديدة ويثبت سياحة هذا الرسول وايضاً المعلم قيصر César Baronius في كتابهِ الاول في الفصل العشرين حقق وثبت كرازة هذا الرسول في تلك البلاد وفي تواريخ دون استيفان ده لاصار في كتابهِ الثاني في الفصل الثالث يذكر المعجزات التي صنعها التلميذ في بلاد البيروه والمؤرخ كارسلاسو يذكر كذلك في كتابهِ الاول في الفصل الثامن عشر وايضاً المعلم البادري رودريكو لوصا عاش زماناً طويلاً في الهند ويذكر في تواريخهِ كذلك وايضاً دون ديكو ده البرس والمعلم انطونيو ده ادبرا جميع هولاء المعلمون يخبرون في تواريخهم عن تلمذة هذا القديس مار توما الرسول

وايضاً ذكر المعلم كومار في كتابهِ ان مار توما الرسول دخل على شعب هنود في قرية بونا وكرز عليهم ايمان المسيح وزرع في قلوبهم كلاماً روحانياً لاجل خلاص انفسهم لكن المارد الشقي كان يقسّي قلوبهم ويزرع زوانه في حقل المسيح فاشار عليهم ان يحرقوا القديس بالحياة فاجتمع قومٌ من الهنود وائتمروا على قتلهِ . فلمّا راحوا الى منزلهِ رأوهُ راقداً فجمعوا حطباً وقشاً يابساً وحوطوه حولهُ واضرموا النار فالتهبت وشعل ذلك الحطب والقش بشرارة عظيمة فالهنود لما رأوا النار التهبت باضطرام ما طاقوا القرب اليها لشدَّة حرارتها بل صاروا متأخرين من بعيد يتفرَّجون والقديس كان قاعداً براحة ورياضة والشيطان يحترق امامهُ في تلك النار ثم خلص اللهيب وهمدت النار وصارت رماداً فالقديس الرسول ما احترق منهُ ولا خيط وما تدخنت لهُ ولا شعرة واحدة من جسدهِ بل خرج اليهم ببشاشة وحلم من غير تألم ولا كدر وبدأ يكرز عليهم فالهنود حارت عقولهم وطاشت افكارهم من ذلك السر العظيم . حينئذٍ رحل من

تلك القرية ودخل الى قرية اخرى تسمّى جا كوتيو وهذه القرية هي بساحل بحيرة وطول هذه البحيرة ثمانون فرسخًا عدّيت عليهـا انا الحقير . فامّا الهنود الذين نظروا المعجزة فخرجوا معهُ ليودعوهُ فبينما هم في البريّة يرافقونهُ والّا صار عليهم في تلك الساعة عجاج وزوابع عاصفة وغيم مظلم ورعد مع بروق وحجارة خشنة منحدرة من الجو مثـل زخ المطر مع زواعق متضاعفة جدًا فارتعش الهنود وخافوا واخطر الشيطان بالهم ان ذلك انتقام منهم من اجل الذنب الذي صنعوه بمرافقتهم لهذا التلميذ فقـام حينئذٍ التلميذ القديس ورفع عينيه ويمينهُ ورسم اشارة الصليب مباركًا باسم معلمهِ يسوع المسيح مخلص العالم على تلك الغيوم المعتمة والعجاج العاصف والرعد المفزع ففي حـال الوقت هدأت الدنيا وغاب كل ذلك وتحول الى نهار منوّر وفرح

فالشرير اللعين عدو الخير والصلاح انخمص مقهورًا واشار على اهل قرية جكويت وهو المكان الذي كان التلميذ ذاهبًا اليهِ ليكرز ان لا يقبلوه بل يقتلوه . فاولئك الشعب ما راموا قتلهُ بل ربطوا يديهِ ورجليهِ ووضعوه على كليكة صغيرة من خشب وارخوه في تلك البحيرة قائلين نتركهُ يموت في هذه البحيرة خير من ان نقتلهُ فقيما هم مجتمعون على ساحة البحيرة يتفرجون بما يتم بهذا القديس والّا نظروا سيدة نزلت من السماء مشرقة كمثل نجمة وفائقة الحسن والجمال فنزلت اليهِ وفكت رباطات يديهِ ورجليهِ وسرّحته لناحية البحيرة . ويقول المؤرخ بان الشفيعة مريم العذراء انحدرت من السماء وخلصت القديس توما

والذي ذكره المؤرخون اعلاه في كتاباتهم عن عجائب هذا الرسول ما استطعنا ان نورخهُ كلهُ في كتابنا هذا المختصر فاخرجنا البعض وانتخبنا البعض من كتب تواريخ المعلمين السبنيوليين المثبتة من ديوان مجمع قضاة الايمان الكاثوليكي الذي يسمى في لسان السبنيولي الانكيجيسون (Inquisicion) (تم كتاب الرحلة)



فوائد

صفحة

٣ من بيت عموده والصواب من بيت عمون

١٦ العِرق المدني : افادنا حضرة الاب المدقق انسطاس ماري الكرملي قال : قد عرف العرب هذه العلة وسموها العرق المدَني (نسبة الى بلدة المدينة) وصحفها صاحب محيط المحيط بالبَدَني . وسماها صاحب تسهيل المنافع : العرق المدني. وهذه العلة تسمى بلسان اهل بغداد بالشعرة الحَيَّة (لانها تشبه الشعرة بدقتها وان هذه الشعرة حية لا ميتة) ومنهم من يقول : شعرة الحيَّة بالاضافة ظنًا منهم ان للحيّة شعرة . وهي هذه التي تخرج في بدن الانسان : وهذه العلة معروفة في بغداد الا انها نادرة الحدوث وهي تكثر في ابي شهر (بوشير) من ثغور بلاد فارس في خليج العجم

١٨ صوف بيكونيا هو صوف الحيوان الذي جاء ذكره في صفحة ٣٩ من الرحلة

١٨ التفتيك : قال الاب انسطاس ماري الكرملي : تَفتِيك (وزان تَكسير) او تِفتِك (وزان زِبْرِج) من المعزَى التي توجد في نواحي الموصل وبلاد الكرْد وهي ناعمة الشعر او الصوف يُحمل منهُ شيءٌ كثير الى بَغداد فتتخذ منهُ الأنسجة الفاخرة التي مع خفتها ودوام مكثهـا على حالتها تُدَفئ احسن الدفءِ . ويُرسل من هذا الصوف او الشعر كميات عظيمة الى بلاد الانكليز فيُباع باثمان حسنة

والتَفتِيكُ من جهة اللغة كلمة عربية مشتقة من تَفْتيك القطن وهو نَفشهُ في بعض اللغات على ما قالهُ ابن دُرَيْد (التاج) . ومنهُ ايضًا التفتيك لما يوضع على الجرح من الخرق لتنشيف الرُطوبة . اسم كالتَمتين والتنبيت مولَّدة (عن التاج ايضًا) ومن ذلك اسم شعر هذا النوع من المعزَى لانهُ يشبه الصوف او القطن المندوف . ومن اسم الصوفْ اطلق على الحيوان نفسهِ . فما البيكونيا الَّا تَفتك اميركة وما تفتك الموصل الَّا بيكونيا هذه البلاد

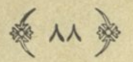
٥٢ جبله كذا في الاصل والصواب جيله او چيلي اي بلاد شيلي Chili كما جاء في صفحة ٨٠ و ٨١

١ فهرس الفصول

٢ً فهرس اهم المواد والاعلام تتمّة لفهرس الفصول

٣ً الفاظ عربية وفارسيَّة وتركيَّة الخ ورد شرحها

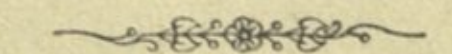


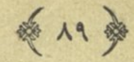


INDEX I

DES PRINCIPAUX MOTS EUROPÉENS.

cités par l'Auteur.

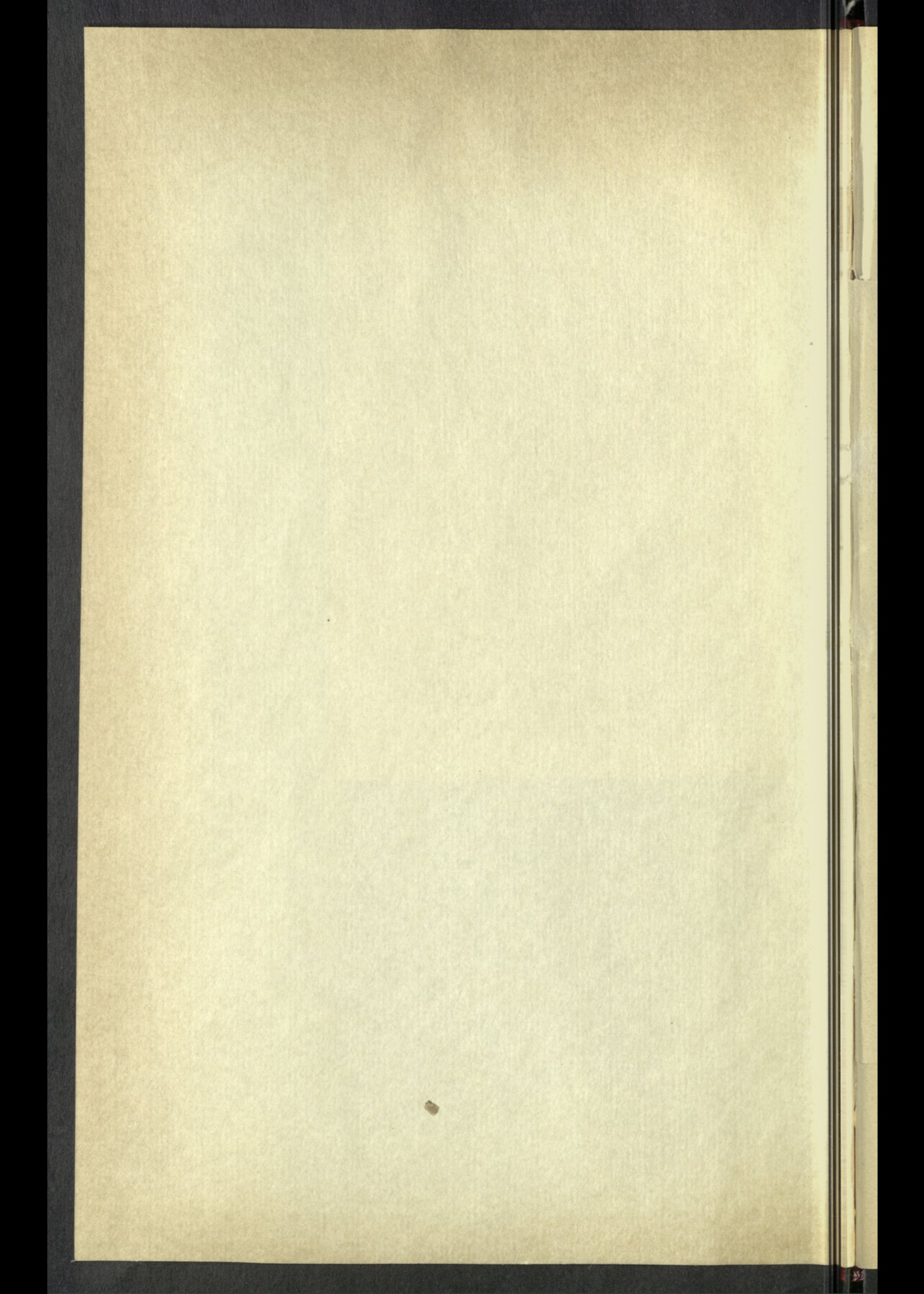




INDEX II

DES NOMS PROPRES.

Nous citons ceux que nous avons identifiés. Ceux qui sont en note sont marqués d'un astérisque.



DATE DUE

